الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

للغة العربية وآدابها

مجلة علمية دورية محكمة

العدد : ٥ | الجزء : ٢ | مايو - أغسطس ٢٠٢٢ م

١٣٨١
١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

asj4iu@iu. edu. sa

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. عبدالرحمن بن دخيل ربّه المطرّفي
(رئيس التحرير)
أستاذ الأدب والنقد المشارك بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن صالح العوفي
(مدير التحرير)
أستاذ النّحو والصّرف المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالعزيز بن سالم الصاعدي
أستاذ النّحو والصّرف بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن محمّد علي العوفي
أستاذ اللغويّات المشارك بمعهد تعليم اللغة العربيّة بالجامعة الإسلاميّة

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمّد بن صالح الشّنطي
أستاذ الأدب والنّقد بجامعة جدارا–الأردن

أ.د. علاء محمد رأفت السيّد
أستاذ النّحو والصّرف والعروض–جامعة القاهرة

أ.د. عبدالله بن عويقل السّلمي
أستاذ النّحو والصّرف–جامعة الملك عبدالعزيز بجدّة

***

قسم النشر: د. **عمر بن حسن العبدلي**

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمّد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلاميّة

أ.د. محمّد محمّد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النّحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة

أ.د. عبدالرزّاق بن فرّاج الصاعدي
أستاذ اللغويات بالجامعة الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الخمّاش
أستاذ اللغويات في جامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. محمّد بن مريسي الحارثي
أستاذ الأدب والنقد في جامعة أمّ القرى

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنّقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد . تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي
أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة الإمارات العربية المتّحدة

أ.د. عمر الصدّيق عبدالله
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية–الخرطوم

د. سليمان بن محمّد العيدي
وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة(*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- أن لا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

- عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
- مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
- كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
- مقدّمة.
- صلب البحث.
- خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
- ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
- رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	**دلالة مصطلح (الأسهل منه) واستعماله عند النحويين** د. عبد الملك أحمد السيد شتيوي	٩
٢)	**لغة قريش بين الاختيار اللغوي ورسم المصحف الشريف (دراسة تحليلية)** د. عبد الرحمن بن زايد الشعشاعي	٧٣
٣)	**توجيهُ سِبْطِ ابنِ العَجْمِي رواياتِ صحيح البخاري على المذهب الكوفي -دراسة في كتابه (الناظر الصحيح)** د. عبد العزيز بن عبد الرحمن المحسن	١٣١
٤)	**الحذف المشكل للحروف في شعر المتنبي (دراسة تركيبية دلالية)** د. عبد الهادي بن مداوي بن أحمد آل مهدي	٢٠٥
٥)	**بلاغة الخطاب الإقناعي في آيات الحث على الإنفاق التطوعي في ضوء مفاهيم الحجاج** سحر مصطفَى إبراهيم المِعَنَّا	٢٨٥
٦)	**توظيف الإطار المنهجي للنظرية ا لمجذّرة في تأصيل البحث البلاغي -"نظرية النظم أنموذجًا"** د. زينب بنت عبد اللطيف كامل كردي	٣٤٩
٧)	**المعنى وضده في القرآن بين بلاغة التأكيد والتأسيس من خلال كتب المفسرين** د. سعيد بن عثمان بن محمد الملا	٤٠٧

م	البحث	الصفحة
٨)	**وظائف الشعر في السرد القديم: قراءة في كتاب (أدب الغرباء) للأصفهاني** هند بنت عبد الرزاق المطيري	٤٦١
٩)	**عتبات القصيدة الفصحى وثيقةً ثقافية** د. صالح بن عويد الحربي	٥٠٩
١٠)	**الحركة في أشعار المُعَمَّرين دراسة في البنية** د. علي بن أحمد الهمامي	٥٤٩
١١)	**الاستطراد السردي عند الرحالة السعودي محمد بن ناصر العبودي كتاب : من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء أنموذجًا** د. فلاح بن مرشد بن خلف العتيبي	٥٨٧
١٢)	**همزيّة حسّان بن ثابت ﷺ في الدّفاع عن الإسلام (مُقاربة أسلوبيّة)** د. عنايات عبد الله الشيحة	٦٢١
١٣)	**التَّقابل في رواية (زهور فان غوخ) لمقبول العلوي** خلود بنت عبد اللطيف بن صالح الجوهر	٦٦١
١٤)	**صعوبات تعلم اللغة العربية عن بعد بوصفها لغة ثانية "من وجهة نظر متعلميها"** د. عادل علي غانم السناني	٧٠٥
١٥)	**صناعة مُعجم تعليمي للنّاطقين بغير العربيّة باستخدام نظرية الحقول الدّلاليّة** د. عبد الناصر عثمان عبد الله صبير	٧٧١

وظائف الشعر في السرد القديم:
قراءة في كتاب (أدب الغرباء) للأصفهاني

The Functions of Poetry in Classical Arabic Narrative:
A Reading in The Book of *Ghurba -'al Adab*
(the Literature of Strangers) by
Asfahānī-al Faraj -al Abū

هند بنت عبد الرزاق المطيري

أستاذ الأدب القديم المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب

بجامعة الملك سعود

البريد الإلكتروني: halmuteru@ksu.edu.sa

المستخلص:

تتناول هذه الدراسة وظائف الشعر في السرد القديم، في أنموذج من أقدم نماذجه هو كتاب (أدب الغرباء) لأبي الفرج لأصفهاني. وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن للشعر في سرود الأخبار القديمة وظائف، تفوق تلك التي تكون له في كتب النحو والبلاغة، حين يرد على سبيل المثل والشاهد.

وقد أحسن الإخباريون والرواة استخدام الشعر لتحقيق السيرورة للأخبار وحفز التلقي، لما له من تأثير على نفوس المتلقين، لكن أحدا منهم لم يتوقف، حسب علم الباحثة، عند الوظائف التي يقوم بها الشعر في سرود الأخبار التراثية، ولو من باب جمع المحاسن التي يحققها الشعر لرواية الأخبار، أو التمييز بين الخبر المطعم بالشعر وغير المطعم، مع حرصهم على توضيح مزايا الشعر عامة، والكشف عن قيمته الحضارية؛ بوصفه حاملا للفكر والثقافة، وحافظا للأيام والوقائع والأحداث، ما يجعل روايته وحفظه ضرورة ملزمة لمن يمارسون الكتابة في العلوم والأجناس المختلفة.

هذا الاهتمام بالشعر عند القدماء، يجعل البحث عن وظائفه في سرود أخبارهم عملا يستحق الدراسة؛ لذا اختارت الدراسة كتابا إخباريا، يقوم الشعر فيه بوظائف متعددة، هو (أدب الغرباء) للأصفهاني، وهو كتاب تتسم أخباره بالمحدودية في الموضوع والعدد، حيث يقتصر مؤلفه على رواية أخبار الغرباء، ويورد منها ستة وسبعين خبرا فقط، ما يجعل مادته قابلة للتحليل في ورقة بحثية موجزة، مما يفتح الطريق أمام الباحثين من بعد لاكتشاف وظائف الشعر في سرود إخبارية أخرى.

الكلمات المفتاحية: وظائف، شعر، سرد، قديم، تراث، خبر.

Abstract

This study deals with the functions of poetry in classical Arabic narrative, as presented in one of the oldest book, namely the book of *Adab al- Ghurabā* (the Literature of Strangers) by Abū al-Faraj al-Asfahānī . The study begins with a hypothesis to the effect that poetry in classical Arabic narratives has more functions than it has in the books of grammar and rhetoric, when it is presented as an example or evidence.

Reporters and narrators of *Akhbar* (anecdotal narratives) have made good use of poetry to achieve the wide spread of these narratives and stimulate their reception, because of their strong effect on the hearts of the recipients. However no one to my knowledge has paid enough attention to the functions that poetry performs in classical Arabic narratives, not even in regard to collecting the merits that poetry achieves in the narration of narratives or to distinguishing between the narratives which employ poetry and those which do not , though some of them are keen to clarify the features of poetry in general, and to reveal its cultural value; since poetry was the governor of thought and culture, and a preserver of Arab heroism and history, which makes its narration and memorization an obligatory necessity for those who practice writing in different sciences and genres.

This interest in poetry makes the search for its functions in classical report stories a worthy study. Therefore, this study chose to analyze The Book of the literature of Strangers, because poetry in this book performs several functions, and because it is a book whose narratives are limited in subject matter and number, as its author limited himself to narrating narratives concerning strangers, and only 76 of them are presented, which makes their analysis manageable in a brief research paper like this , in the hope that this may open the way for other researchers to discover the functions of poetry in another types of narrative stories or *Akhbar*.

Keywords: Functions, Poetry, Narrative, Classical, Cultrure, Anecdotal narrative (Khabar).

المقدمة

يحضر الشعر في المصنفات التراثية حضورا طاغيا، على اختلاف العلوم وتعدد مجالاتها، هذا فضلا عن مكانة الشعر الأثيرة في ثقافة العرب ونفوسهم. وتختلف وظائف الشعر من علم إلى علم ومن مصنف إلى آخر، بحسب اهتمام المؤلفين ومجالات اشتغالهم، ولعل أبرز تلك الوظائف التي يؤديها الشعر وظيفة المثل والشاهد التي تظهر في المعاجم وكتب النحو والبلاغة. لكن وظائف الشعر تتنوع وتتعدد بشكل أوسع في كتب الأخبار.

ومن المعلوم أن الأخبار تحظى بشعبية كبيرة عند القدماء، جعلتهم يبتكرون لها بنى سردية تكاد تكون متماثلة في معظم السرود التراثية، يكون الشعر حاضرا فيها بالضرورة. لكن حضور الشعر في تلك السرود التراثية لم ينل حظه من اهتمام الباحثين، ولعل مرد ذلك ما شاع من مقولات وتصورات للقدماء تدعم الاعتقاد بمحدودية وظيفة الشعر في الأخبار، من مثل قول المبرد، في حديثه عن الخوارج "وإنما نذكر منهم من كان ذا خبر طريف، واتّصلت به حكم من كلام وأشعار"[(١)]. هذا القول أفضى بالباحثين إلى الاعتقاد بأن الشعر في السرد التراثي لا وظيفة له، أو لعله مجرد نسق مهيمن[(٢)]، يقول محمد القاضي "فإذا أدركنا أن الشأن في هذه الأخبار أن تنقل ما أوثر عن القدامى والمحدثين من جزل القول ولطيف الاعتذار ورقيق العتاب وحسن النصح وخفي التعريض وصريح الفخر وعنيف الرد، وغير ذلك، استطعنا أن نفهم سبب كثرة هذا الضرب من الأخبار التي تتخذ من إيراد الأقوال المأثورة، شعرا

(١) محمد بن يزيد المبرد، **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المكتبة العصرية، ط/١، ١٩٩٧) ، ج٣، ص١٧٠.

(٢) النسق المهيمن هو أحد المعايير المهمة التي يمكن الاحتكام إليها للتمييز بين الأنواع الأدبية في النظرية الشكلانية، ويتمثل في هيمنة عنصر أو ملمح داخل نوع أو جنس أدبي ما. للمزيد انظر: جميل حمداوي، **النظرية الشكلانية في الأدب والفن**، (تطوان: دار الريف للطبع والنشر، ط/١، ٢٠٢٠)، ص٨٤.

ونثرا، هدفا لها لا تحيد عنه"[1].

والحق أن من يقرأ كتب الأخبار بتمعن سيلحظ التنوع الكبير في الوظائف التي يقوم بها الشعر في السرود التراثية. من هنا جاءت أهمية هذا الموضوع (**وظائف الشعر في السرد القديم**)، خاصة وقد انصرفت كثير من الدراسات الحديثة إلى العناية بدراسة السرد في الشعر، لا العكس. وقد قصدت الدراسة من ذلك إعادة اكتشاف وظائف الشعر في السرد التراثي في كتب الأخبار، معتمدة كتاب (**أدب الغرباء**) بوصفه أحد تلك السرود التراثية الممثلة لهذا النسق المهيمن الذي ينهض فيه الشعر بوظائف متعددة.

ومن هنا فقد تحدد هدف هذه الورقة البحثية في حصر وظائف الشعر في سرود أخبار الغرباء في الكتاب، معتمدة –في تحديد تلك الوظائف– المنهج التحليلي، والتصنيف الوظائفي لفلاديمير بروب، منتهية إلى خلاصة موجزة تتعلق بعلاقة الشعر بالسرد ودوره في تنميته أو قطعه أو اختلاله.

وسوف تعتمد الدراسة الإشارة للأخبار حسب ترقيمها في الكتاب، معتمدة هذا التوضيح (الحادثة رقم/)، ويكون رقم الصفحة محددا في الحاشية، حتى يسهل الرجوع إلى الأخبار في المصدر.

وبالله التوفيق

(١) محمد القاضي، **الخبر في الأدب العربي: دراسة في السردية العربية**، (تونس: منشورات كلية الآداب بمنوبة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط/١، ١٩٩٨) ، ص٣٥٦.

قيمة كتاب (أدب الغرباء) بين كتب الأصفهاني :

لم يرد في مصنفات القدماء؛ التي ترجمت لأبي الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) أو أوردت شيئا من سيرته ومؤلفاته، ما يسعف في تحديد قيمة كتاب (أدب الغرباء) في زمانه وما قبله، فتلك المصنفات إما أن تتجاهل مؤلفات الرجل جملة، فلا تأتي على شيء منها(١)، أو تذكر الكتاب في معرض ذكر مؤلفات الرجل عامة، مع التنويه إلى أهمية كتابه (الأغاني)، الذي يبدو أنه كان قد أغنى الناس عن غيره من مؤلفات صاحبه، بحسب رواية صاحب وفيات الأعيان، يقول واصفا هذا الاستغناء: "وله المصنفات المستملحة، منها: كتاب (الأغاني) الذي وقع الاتفاق على أنه لم يعمل في بابه مثله، يقال إنه جمعه في خمسين سنة، وحمله إلى سيف الدولة بن حمدان فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه. وحكي عن الصاحب بن عباد أنه كان في أسفاره وتنقلاته يستصحب حمل ثلاثين جملاً من كتب الأدب ليطالعها، فلما وصل إليه كتاب) الأغاني) لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه، استغناءً به عنها"(٢). ثم يذكر ابن خلكان كتاب (أدب الغرباء) في جملة تلك الكتب المستغنى عنها، يقول ""ومنها: كتاب "القيان " وكتاب "الإماء الشواعر " وكتاب "الديارات " وكتاب "دعوة التجار " وكتاب "مجرد الأغاني " وكتاب "أخبار جحظة البرمكي " و "مقاتل الطالبيين " وكتاب "الحانات " و "آداب الغرباء"(٣).

وقبل ذلك كان صاحب الفهرست قد ذكر الكتاب تحت عنوان (أدب الغرباء

(١) انظر: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، **تاريخ أصبهان: ذكر أخبار أصبهان**، ط/١، تحقيق: سيد كسروي حسن، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ١٩٩٠) ، ج/١، ص٤٤٧.

(٢) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، د.ط، ١٩٠٠) ، ج/٣، ص٣٠٧.

(٣) المرجع نفسه، ج/٣، ص٣٠٨.

من أهل الفضل والأدب)[١]، في معرض ترجمته لأبي الفرج وتعداد كتبه. وذكره الخطيب البغدادي في مسرد كتب الأصفهاني بعنوان (آداب الغرباء)، يقول، بعد ذكر اسم الرجل ونسبه: "وكان عالما بأيام الناس والأنساب والسيرة. وكان شاعرا محسنا، والغالب عليه رواية الأخبار والآداب. وصنف كتبا كثيرة منها الأغاني الكبير، ومقاتل الطالبيين، وأخبار الإماء الشواعر، وكتاب الحانات، وكتاب الديارات، وآداب الغرباء، وغير ذلك. فهذه تصانيفه التي وقعت إلينا، وحصل له ببلاد الأندلس مصنفات لم تقع إلينا"[٢].

وجاء عند ياقوت الحموي في معجم الأدباء ثناء واسع على كتاب الأغاني، قال بعده "وتصانيفه كثيرة، وهذا الذي يحضرني منها: كتاب الأغاني الكبير، كتاب مجرد الأغاني، كتاب التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأنسابها، لم أره وبودي لو رأيته، ذكره هو في كتاب الأغاني. كتاب مقاتل الطالبيين. كتاب أخبار القيان. كتاب الإماء الشواعر. كتاب المماليك الشعراء. كتاب أدب الغرباء..."[٣].

ويذكر صاحب النجوم الزاهرة كتاب الأغاني في معرض حديثه عما وقع من الحوادث سنة٣٥٦، يقول "فيها توفي علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم الإمام العلّامة أبو الفرج الأصبهانيّ الكاتب، مصنّف كتاب الأغاني وغيره؛ سمع الحديث وتفقّه وبرع واستوطن بغداد من صباه، وكان من أعيان أدبائها؛ كان أخباريّا نسّابة شاعرا ظاهرا بالتشيّع. قال أبو علي التّنوخيّ: كان أبو الفرج يحفظ من الشعر

(١) محمد بن إسحاق النديم، **كتاب الفهرست في أخبار العلماء والمصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم**، شرح وتعليق: يوسف علي طويل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط/١، ١٩٩٦) ، ص١٨٤.

(٢) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، **تاريخ بغداد: تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها**، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط/١، ٢٠٠١) ، ج١٣، ص٣٣٨.

(٣) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط/١، ١٩٩٣) ، ج١، ص١٧٠٨.

والأغاني والأخبار والمسندات والأنساب ما لم أر قطّ مثله، ويحفظ سوى ذلك من علوم أخر، منها: اللغة والنحو والمغازي والسّير. قلت: وكتاب الأغاني في غاية الحسن"[(١)]، وهو إذ ينتهي بوصف كتاب الأغاني بأنه كان في غاية الحسن، لا يأتي على ذكر أدب الغرباء، ولا على غيره من مؤلفات الأصفهاني، وكأنما أغنى (الأغاني) عنها جميعا.

وقد حظي كتاب (أدب الغرباء) بحظ وافر من الدراسات الحديثة، لكن جلّ تلك الدراسات كان منصبا على موضوع الغربة، وعلى طريقة أبي الفرج في سرد أخبار الغرباء، وما يعتمده هؤلاء الغرباء من مواد الكتابة؛ كالجدران وشواهد القبور والحجارة، وغيرها. أما توظيف الشعر في السرد فقد ظل غائبا عمن تناولوا هذا الكتاب بالدراسة. وقد أشار محقق (أدب الغرباء) صلاح الدين المنجد في مقدمة تحقيقه إلى مزايا (أدب الغرباء) التي تجعله حقيقا بالاهتمام، وهي:

١- طرافة موضوع الكتاب وأنه لم يسبق أبا الفرج إليه أحد.

٢- أصالة الموضوع، حيث لم يسبق أحد لجمع هذه الأخبار والأشعار، وإن كان بعضها قد ورد مفرقا في كتب الأدب.

٣- ما يظهر في الكتاب من العواطف الإنسانية التي تثيرها الغربة أو الفراق من حنين ولوعة وشكوى وعذاب وتلهف وأماني، مسطرة في بلدان الدنيا المتباعدة، على الحيطان والجدران.

٤-أن في أخبار الكتاب ما يلقي الضوء على حياة أبي الفرج من حيث اتصاله بمعاصريه أو انطلاقه في اللهو أو عن حياته ومقدار عمره[(٢)].

وبالعودة إلى التراث العربي يمكن الوقوف عند تجربة سابقة لأبي الفرج الأصفهاني في جمع الأشعار المكتوبة على الحيطان والجدران وغيرها، تظهر في كتاب

(١) يوسف بن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، (القاهرة: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ط، ١٩٦٣) ، ج/٤، ص١٥.

(٢) انظر: على بن الحسين الأصفهاني، **أدب الغرباء**، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (بيروت دار الكتاب الجديد، ط/١، ١٩٧٢) ، ص١٠.

(الموشى: الظرف والظرفاء) للوشاء؛ أبي الطيب محمد بن إسحاق بن يحيي (ت٣٢٥هـ)[١]. وبالنظر في كتاب الوشاء يلاحظ أن صاحبه اختار طبقة الظرفاء من أهل الأدب والبلاغة كما اختار أبو الفرج طبقة الغرباء، وأنه أفرد فيه ثمانية عشر بابا (تبدأ بالباب التاسع والثلاثين، وتنتهي بالباب السادس والخمسين) لما تركه الظرفاء من الأشعار على الجدران وغيرها، وأنه ذكر من المواضع فوق ما ذكره أو تحاشى ذكره أبو الفرج، إذ ذكر ما كتب على (الدراهم والدنانير، والأقلام، والعيدان، والمضارب، والسرنايات[٢]، والطبول، والمعازف، والدفوف، والنايات، وما كتب على أواني الذهب والفضة ومدهون الصيني المذهب، وما كتب على القناني والكاسات والأقداح والأرطال والجامات، وما كتب على التفاح والأترج والدستبويات وما يُعدل به تنضيد الورد والياسمين والخيريّات، وما كتب على الجبين والخد، وما كتب بالحناء في الوطأة والوشاح وعلى الأقدام والرّاح، وما كتب على النعال والخفاف، وما كتب في المجالس والأبواب والمستنظرات وصدور القباب، وما وجد على المناص والحُجل والأسرة والكِلَل، وما وجد على الستور والوسائد والبسط والمرافق والمقاعد، وما وجد على الزنانير والتّكك والمناديل، وما وجد على الكرزان والعصائب ومشاد الطُّرر والذوائب، وما وجد على ذيول الأقمصة والأعلام وطرز الأردية والأكمام، وما وجد على فصوص الخواتم، وما وجد في الكتب)[٣]. في حين نقل أبو الفرج ما وجد مكتوبا على جدران القصور وقبابها، وجدران البيوت والخانات والمساجد والكنائس والخرائب، وحوائط المقابر وألواحها، وحوائط البساتين، وأبواب المدن وأسوارها، وعبّارات المياه، والطرق، والرقع والفساطيط والخرق، والأشجار والصخور والحجارة، والكتب. وفي ذلك ما يدل على اطلاع أبي الفرج على كتاب الوشاء، وتحاشيه بعض المواضع التي

(١) وفاته قبل وفاة أبي الفرج بنحو ثلاثين سنة.

(٢) آلات مسيقية طربية.

(٣) لمزيد من التفاصيل، انظر: محمد بن إسحاق بن يحيي الوشاء، **الموشى: الظرف والظرفاء**، تحقيق: كمال مصطفى، (القاهرة: مكتبة الخانجي ومطبعة الاعتماد، ط/٢، ١٩٥٣) ، ج/٢، ص٢٠٣-٢٥٣.

ذكرها الوشاء في كتابه. لكن ذلك لا يقلل من جهد أبي الفرج، فكتاب (أدب الغرباء) ثري في مادته وموضوعه، فضلا عما حواه من الأخبار التي تضاف إلى تراث أبي الفرج الإخباري.

(أدب الغرباء) بين الأخبار وأدب الجدران (الغرافيتي والإبيجراما) :

يعد كتاب (أدب الغرباء) تجربة جديدة في الكتابة الإخبارية عند أبي الفرج الأصفهاني، حيث ترتكز أخباره على طائفة الغرباء دون غيرهم، وهو ما لم يلتزمه في كتابه الشهير (الأغاني)، الذي يوحي عنوانه باقتصاره على الأغاني التي تغنى بها المغنون من أشعار العرب، ومع ذلك غدت مادته مصدرا غنيا في تراجم الشعراء وأخبارهم، متفوقا في هذا الباب على كتب حملت عناوينها ما يوحي بعنايتها بالشعراء خاصة، مثل (الشعر والشعراء) لابن قتيبة.

وأبو الفرج في عنايته برواية أخبار الغرباء دون غيرهم، يسبق كثيرين من علماء الاجتماع الحديث إلى العناية بالإخبار عن الفئات المهمشة من المجتمع، ونقلها من الهامش إلى المتن[1]، خاصة وقد ساوى في حس الاغتراب بين الغرباء من المجهولين، والأعلام المبرزين، فأورد ستة وسبعين خبرا، بعضها لخلفاء وقادة، كأبي جعفر المنصور، وهارون الرشيد، والمأمون، والواثق، والمتوكل، والمقتدر بالله، والوزير المهلبي، وبعضها لشعراء معروفين كأبي نواس وأبي العتاهية، وعبد الله بن المعتز وعلي بن الجهم، وبعضها لغرباء مجهولين جمع أبو الفرج أشعارهم مما شاهده بنفسه أو رواه له غيره.

هذا الاتفاق بين أخبار الكتاب في الاقتصار على رواية قصص الغرباء دون غيرهم، يلازمه اتفاق آخر على اختيار هؤلاء الغرباء لمواد كتابة مختلفة، ولهذا الأمر دلالته الهامة، فـ"الكتابة على الجدران والشجر والحجر وغيرها من مكونات الفضاء الخارجي هي صرخة مدوية في أذن المجتمع يطلقها المهمشون من ذوي المظالم،

(١) مؤمنة حمزة عبدالرحمن عون، **نحيب الذات في أدب الغرباء للأصفهاني**، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر بمركز إيتاي البارود بمصر، المجلد٣٠، العدد٢، ٢٠١٧م، ص٥٢٢.

والمسجونين، والعشاق، وأصحاب المذاهب المخالفة، ممن يعانون القمع والتهميش"[١]. وهنا تأتي أهمية الكتاب بوصفه أنموذجا للسبق العربي في فن الكتابة على الجدران (الغرافيتي)، وهو فن قديم عرفه العرب –كغيرهم من الأمم– منذ عهود قديمة، وظهرت آثاره في المعلقات والنقوش والحفريات وغيرها من الشواهد، وأشار إليه عدد من القدماء كالبيهقي والوشاء والسخاوي[٢].

لكن أبا الفرج الأصفهاني تفرد عن الجميع بتخصيص كتاب مستقل لهذا النوع من الكتابة دون غيره، فكان بذلك قد "أماط اللثام عن وعي المبدع العربي بفن من فنون البشرية الأولى هو فن الجداريات بأشكالها وأنواعها المبتكرة"[٣]. وإذا كانت الجداريات (الغرافيتي) قد قامت –منذ عرفها الإنسان– بوظيفة توثيقية، فإن كتاب (أدب الغرباء) قد كشف عن دور العقل العربي "الذي انتقل بالفن الجداري من طوره التوثيقي إلى طور الكتابة الإبداعية الذي ينم عن درجة من الرقي الفكري والحضاري"[٤].

والغرافيتي في أبسط تعريف له هو "الكتابات والرسومات الموجودة على مختلف الدعائم الموجودة في الفضاءات العمومية والحاملة لدلالات ثقافية وسوسيولوجية تساعد على وعي الحالة الاجتماعية للمجتمع"[٥]. و(الغرافيتي) بهذا الوصف هو الأدب المناسب للغرباء الذين يصفهم الأصفهاني، لكن مفهوم الغربة في الكتاب أقرب إلى مفهوم الاغتراب، ذلك أن نصوص الكتاب ليست كلها للغرباء البعيدين عن ديارهم، فقد أدرج أبو الفرج كثيرا من النصوص "للغرباء بالمعنى المجازي، باعتبار أن أصحابها

(١) عون، مرجع سابق، ص٥٠٨.

(٢) علي حافظ كريري، **أدب الجدران: قراءة في النقش الشعري وفضاءاته البصرية**، (نجران: إصدارات النادي الأدبي الثقافي، ط/١، ٢٠١٣) ، ص١٢، وما بعدها.

(٣) عون، مرجع سابق، ص٥٢٠.

(٤) المرجع نفسه، ص.ن.

(٥) طيبي غماري، **الغرافيتي من أدب الغرباء إلى الاغتراب**، مجلة عالم الفكر، المجلد ٤٣ (يناير–مارس٢٠١٥م) ، ص١٠٤.

يعيشون غربة دينية أو جنسانية أو اجتماعية أو سياسية"[١]. ولأن أدب الجدران، وسيلة الهويات الفردية في المجتمعات للظهور والإعلان عن اختلافها عن الهوية الرسمية للمجتمع[٢]، فإن كتاب (أدب الغرباء) يكشف مطالبات تلك الهويات المغتربة بإثبات وجودها في مجتمعات رافضة أو مختلفة.

هذا النوع الخاص من الكتابة، يدخل فيما عرف عند الباحثين بـ(الإبيجراما)، وهو مصطلح ارتبط بالنحت/ النقش "وهي عبارة عن عدد قليل من أبيات الشعر، يكتب أو ينحت على حجر، أو قبر، أو جدار، وغيرها"[٣]. والإبيجراما –وفق هذا التعريف– فن يقوم على عدد قليل من الأبيات، وهو ما لا تتفق معه النصوص الشعرية في كتاب (أدب الغرباء) تماما، فمنها الطويل والقصير والقصير جدا، ومع ذلك يمكن عدّ هذا الكتاب محاولة أولية غير واعية، لفن لم تكن العرب تعرفه في أزمنتها القديمة[٤]. وإذا كان الأدب العربي مدينا لأبي الفرج في كتابه (الأغاني) بما حفظه للأجيال من الشعر والنثر والأخبار والتراجم، فإنه مدين له مرة أخرى بما جمع ودون في كتابه (أدب الغرباء) من نصوص هذا الفن الأدبي (الإبيجراما) المنقوشة في عهدها الأول وصفحتها الأدبية الزاخرة، دون أن يدري لها اسما، والآن يدخل مصنفه تحت أول ديوان إبيجرامي عربي قديم[٥].

علاقة الشعر بالسرد في كتاب (أدب الغرباء):

لا يعنينا بدءا التأصيل لمصطلحي (شعر)، و(سرد)، فذاك عمل سبق إليه

(١) المرجع نفسه، ص١١٠.

(٢) غماري، مرجع سابق، ص١٠١.

(٣) سهية مقبل الشلوي؛ هدى سعد الدين أحمد، **فن الإبيجراما العربية القديمة: النشأة والبناء**، المجلة الأكاديمية العالمية للغة العربية آدابها، المجلد٢، العدد٢، (جون٢٠٢٠م)،ص٩.

(٤) المرجع نفسه، ص١٥، بتصرف.

(٥) المرجع نفسه، ص.ن.

باحثون كثر، بل لعل هذا النوع من التأصيل قد أُسرف فيه لدرجة تفوق التتبع. لكن ما يدخل في اهتمام هذا البحث هو ذاك الجانب الذي يتعلق بسردية الخبر، وقد انتهى كثير من المهتمين به إلى خلاصة مفادها أن السرد مصطلح يضم كل الأنواع الحكائية، بما فيها الخبر(١).

ويمثل الارتباط بين الشعر والسرد أحد تقاليد الكتابة في الثقافة الإخبارية عند العرب، "فليس غريبا –والحالة هذه– أن تنشأ بين الأخبار والأشعار علاقة مخصوصة معقدة، فيها شيء من التواطؤ وشيء من الصراع"(٢)، تحفز هذا وذاك الحاجات واختلاف الأزمنة والأوقات، فكلما كان الزمن أقرب إلى طور المشافهة فالشعر هو الأسبق في الحضور، لحضوره في الأذهان، وأهميته في التأصيل والتقعيد لعلوم أخرى كاللغة والمعجم والنحو والبلاغة، ولذا فإن "ما دون من الأخبار إلى بدايات القرن الثالث للهجرة إنما جاء عرضيا جرّ إلى أغلبه اهتمام القدامى بالشعر"(٣).

أما ما دوّن بعد ذلك التاريخ من الشعر في كتب الأخبار فله غايات ووظائف لا يغني عنها سواه، ففضلا عن أن الشعر وسيلة جذب الانتباه وإثارة المتلقين وتحفيزهم على سماع الأخبار الطويلة والقصيرة على حد سواء، وفضلا عما يتميز به من السيرورة في الحفظ والاستشهاد والنقل والرواية، مما يجعل المكتوب أبهى وأطلى، فإن الشعر هو ما ينهض بوظيفة جعل المرويات في كتب الأخبار داخلة في باب الأدب وحقيقة بصفة الأدبية، ولذا فإن "أصحاب هذه التواليف يقرون بأن الخبر لا

(١) السرد عند سعيد يقطين "جنس يستوعب مختلف الأنواع السردية، بما فيها الخبر". انظر: **الكلام والخبر: مقدمة للسرد العربي**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي،ط/١، ١٩٩٧)، ص١٣٧. والسرد عند سعيد جبار "معنى عام جامع، يمكن أن يتضمن كل كلام ذي طبيعة إخبارية، والكلام الإخباري...تأطر ضمن مفاهيم متعددة (حكاية –قصة – خبر –سيرة)". انظر: **الخبر في السرد العربي: الثوابت والمتغيرات**، (الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس، ط/١، ٢٠٠٤)، ص٩٨.

(٢) القاضي، مرجع سابق، ص٥٤١.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٤١.

قدرة له على الدخول في مضمار الأدب إن لم يستظل بالشعر"[١].

والشعر فن أدبي عريق، في كل الثقافات والأمم، وله في ثقافة العرب أنظمة وقوانين عرفها العرب بالفطرة قبل أن تقعّد لهم، ومن ثم فلا صحة لما يذهب إليه بعض الباحثين من ربط الاهتمام بالشعر عند العرب بمرحلة البداوة والسذاجة، وجعل الاهتمام اللاحق – في عصر الدولة الإسلامية- بالنثر من معطيات التحول من البداوة إلى المدنية[٢]. لأنها لو كانت الحال كذلك لمات الشعر، وتوقف الخلفاء في العصور اللاحقة عن البذل للشعراء، ولما تنافست العواصم السياسية في استقطاب الشعراء في المشرق والمغرب.

إن النقاش المنطقي للتحول العربي الإسلامي نحو النثر عامة، يستحضر وجود النص القرآني في تلك المرحلة من تاريخ الأمة، وهو نص بعيد عن الشعر، بل ويتبرأ – في بعض المواضع- منه؛ لأن وصف الشاعر كان مما اتهم به النبي –صلى الله عليه وسلم- عند نزول القرآن. ومن ثم يمكن القول إن الاهتمام بالنثر الفني جاء مرتبطا بنزول القرآن الذي لم يكن شعرا. وإذا كان القرآن نصّا جامعا لكل الأجناس التي عرفها العرب ومارسوها، من حكم، وقصص، وأمثال، وعلم تأويل الرؤى، ...إلخ[٣]، إلا الشعر، فإن في ذلك ما يشرّع المنافسة اللاحقة بين الشعر والنثر الفني الذي هو أقل منزلة عن القرآن. لكنها منافسة لم تنته أبدا إلى إقصاء الشعر أو اجتنابه، استنادا إلى موقف القرآن منه، بل انتهت إلى شيء من المصالحة، غدا فيها تضمين الشعر جزءا من مقتضيات البلاغة، وغدت روايته في تضاعيف النثر الفني مما يثري الكتابة ويمنحها بعدا جديدا من التلقي المزدوج.

وفي كتب الأخبار خاصة، يكثر الشعر، ليشكل نسبة ضخمة من مادة كل كتاب على حدة، ويكون له في كل خبر قيمه التي لا يمكن تجاهلها، فمن يقرأ كتب الأخبار المطعمة بالشعر عادة، يدرك أهمية هذا التفاعل بين الشعر والسرد على

(١) المرجع نفسه، ص٥٤٥.

(٢) انظر هذه المناقشة مفصلة عند: يقطين، مرجع سابق، ص١٢٩، وما بعدها.

(٣) يقطين، مرجع سابق، ص١٣٨.

مستوى الخبر الواحد، وعلى مستوى المدونة الإخبارية كاملة. وهو ما يتضح في كتاب (أدب الغرباء) الذي يشكل الشعر فيه نسبة ضخمة من مادة الكتاب، فإذا كان عدد الأخبار المروية في الكتاب ستة وسبعين خبرا، فإن الشعر يحضر في ثلاثة وسبعين خبرا منها. وهذا الأمر بالغ الأهمية، لا من حيث ما سبق ذكره من أن الشعر مطيب للكلام ومحفز على التلقي فحسب، بل من حيث أنه يلمح إلى أمر آخر يتعلق بطبيعة الراوي نفسه، فأبو الفرج الأصفهاني إخباري وشاعر في الوقت نفسه، ولربما أسعف تتبع اهتمامات الإخباريين في التحقق من طبيعة الميل لرواية أخبار بذاتها، وربما أسعف –بكثير من التخرص– في التثبت من صحة كثير من الأخبار التي تحملها كتب التراث العربي، بحسب مواهب المؤلفين وملكاتهم.

إن مما يميز المادة الشعرية الواردة في كتاب (أدب الغرباء) أن بعضها كان من إنشاء أبي الفرج نفسه، فهو من يكتب الشعر على الحائط وهو من يروي خبره، وهذا النوع من الرواية قليل في الثقافة الإخبارية العربية، يقول محمد القاضي "ولا يمكننا أن نفهم سر ذلك إلا إذا نزلنا الخبر الأدبي منزلته من حركة التأليف عامة. فإذا كنّا نجد في العربية كلمة الشاعر للدلالة على قائل الشعر، وكلمة الخطيب للإشارة إلى صاحب الخطبة، فإن كلمة الإخباري لا تدل إلا على راوي الخبر والقصة والحكاية. وإذا كانت قيمة الشاعر والخطيب والمترسل تقاس بمدى تفرد كل منهم في تشقيق المعاني وإلباسها كسوة من مونق اللفظ، فإن قيمة الإخباري تكمن في أمانته في نقل الأخبار"[1]. فالإخباري لا يؤلف الخبر بل ينقله، أما أبو الفرج –في كتابه هذا تحديدا– فيفعل؛ وكأنه وجد في الجدران مكانا مناسبا لتسجيل شعره وتخليده، وهي سنة في إيثار الذات سلكها من بعده شعراء آخرون، أشهرهم الإخباري الأندلسي، ابن عبد ربه، الذي ترك في كتابه (العقد الفريد) مادة وفيرة من شعره خاصة، بل ربما صح القول إنه آثر شعره على شعر عامة الأندلسيين، ليكون خالدا رفقة أشعار المشارقة، بين دفتي كتاب.

(١) القاضي، مرجع سابق، ص٢٠٠-٢٠١.

وليس لذلك أهمية كبيرة إلا من ناحية إيحائه بأن في أخبار الكتاب شيئا من الصناعة، ومادة ربما أسعفت أبا الفرج ملكته على تسجيلها، خاصة وقد وصف في مقدمة كتابه الحالة النفسية التي كان عليها حين أنشأ الكتاب، يقول " أما بعد، فإن أصعب ما ناب به الزمان، ولقي في عمره الإنسان، عوارض الهم ونوازل الغم، نعوذ بالله منهما. وحدوثهما يكون بأسباب أتمّها حالا في السورة، وأعلاها درجة في القوة: تغير الحال من سعة إلى ضيق، وزيادة إلى نقصان، وعلو إلى انحطاط، والذي بي من تقسم القلب وحرج الصدر، يسومانني إلى ما ذكرته، ويبعثانني إلى مثل ما قدّمتُه، فأشغل النفس في بعض الأوقات بالنظر في أخبار الماضين وأحاديث السالفين، فربما أسلت ذا شجن، وتأسى بمتضمنها ممتحن، فأنا في ذلك كغريق اللجة بما يجد يتعلق، ويتشبث طلبا للحياة بما لحق"(١).

هذه الحالة التي وصفها الأصفهاني لنفسه زمن تأليف هذا الكتاب خاصة تكشف عن ذات مغتربة، تبحث عما تتشاغل به عن الهموم، وتنصرف به عن المعاناة والألم، وهي ذاتها الحالة التي دفعت شعراء الكتاب إلى ترك ما كتبوه من الأشعار على الجدران وغيرها، ساعين بذلك إلى نقل أوجاعهم وحمل معاناتهم على أدوات هي أصمد وأبقى من صدور الرجال، وهي طريقة تكشف "رغبتهم العارمة في جذب أنفسهم من أطراف الهامش إلى بؤرة المركز"(٢)، فكيف بأديب إخباري يطلب الخلود لنفسه فيما يخط وما ينقل معا؟ من ناحية أخرى فقد لاحظت إحدى الباحثات أن هيئة أبي الفرج الأصفهاني الواردة في المصادر التي تحدثت عنه تشبه هيئة الغرباء، تقول "وهكذا كان أبو الفرج رثّ الثياب، لا يعنى بمظهره، وأراها ترجمة ظاهرية لحالة الاغتراب، وردّة فعل تصعيدية تجاه المجتمع تصور حالات من حالات الرفض للمجتمع، وعدم الاكتراث بالأسس والأعراف التي تواضع عليها أهلها"(٣).

وعامة فإن الأصفهاني يعتمد فيما يصرّح بروايته عن نفسه من تلك الأشعار

(١) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٢٠-٢١.

(٢) عون، مرجع سابق، ص٥٠٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٤٢.

إحدى طريقتين:

١- أن يبدأ الخبر بعبارة (قال صاحب هذا الكتاب)، ثم يتبعها بفعل الكتابة (فكتبتُ /الحادثة رقم ٥٥[١]، أن أكتب على الحائط/ الحادثة رقم ٦٤[٢]، فكتبتُ تحته /الحادثة رقم ٧٥[٣]).

٢- أن يبدأ روايته للخبر بأفعال مرتبطة بضمير المتكلم، مثل (خرجتُ...وقلتُ فيها/ الحادثة رقم١٣[٤]، وكنتُ انحدرتُ...وكتبتُ هذه الأبيات على الحائط /الحادثة رقم١٥[٥]). وفي تلك الحالات يكون الشعر من نظم أبي الفرج نفسه.

أما الأخبار التي ينقلها من غيره فتبدأ عادة بصيغ مختلفة، بعضها مبني لما لم يُسم فاعله، وبعضها مبني للمعلوم؛ فمن الأول: (رُوي لنا/ الحادثة رقم٢، حُكي/ الحادثة رقم٤٧، يُقال /الحوادث رقم٢٤، ٣٠، ٤٦، ٤٩، ٥٠)، ومن الثاني: (قال/ الحوادث رقم٤، ٢٠، ٢٣، ٣٢، ٣٤، ٤٠، ٤٥، ٤٨، ٦٦، ٧٢، ذكر/ الحوادث رقم٢٩، ٣٣، ٤٢، كتب فلان/ الحادثة ٢٢). ومنها ما يضاف إلى ضمير المتكلم الفاعل (قرأتُ/ الحوادث رقم ٦، ٩، ١٢، ٣١، ٥٩، رأيتُ/ الحادثة رقم٤١، حدثتُ/ الحادثة رقم٦٠)، ومنها ما يكون ضمير الذات مجرورا (مرّتْ بي رقعة/ الحادثة رقم١٠). ثم تأتي الصيغ التي يكون فيها مفعولا به؛ وأقلها (أخبرنا/ الحادثة رقم٢١) ثم (حدثنا/ الحادثتان رقم٥٤، ٧٣). أما أكثرها فـ(حدثني/ الحوادث رقم١، ٣، ٥، ٧، ٨، ١١، ١٤، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٤، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٤، ٧٦). والأشعار في تلك الأخبار هي مما عاينه الأصفهاني ونقل خبره، أو مما حدثه به آخرون.

(١) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٧٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٨٤.

(٣) المرجع نفسه، ص٩٧.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٥.

(٥) المرجع نفسه، ص٣٧.

ومعظم كتّاب تلك الأشعار مجهولون، كما أن من الأشعار ما لم يرد في مصادر أخرى غير هذا الكتاب، حسب قول المحقق[١]، وهي أمور تدفع إلى التريث في القطع بحقيقة كثير من أخبار الكتاب، أو ربما تدفع إلى الاعتقاد بأن أبا الفرج كان قد اصطنع هذا النوع من الأخبار، في مرحلة كان القص والقصاص فيها قد كثروا وأقبل الناس عليهم، وغدت بضاعتهم مادة للتكسب، وعملهم مجالا للتنافس والشهرة، حتى "أصبحنا نجد إخباريين ليس لهم بواقع الخبر صلة وإنما هم متحدثون عمدتهم البراعة في القصّ والإيهام. وبهذا يدخل الخبر حرم الفن ليغدو وجها من أبرز وجوه الإبداع في الأدب العربي"[٢].

وانطلاقا من ذلك، يمكن القول إننا أمام تجربة جديدة في كتابة أخبار الأشعار، أو —بشيء من المجازفة– نحن أمام تراجم للنصوص تقابل تراجم النفوس التي ألفتها الثقافة العربية، فتاريخ ميلاد النص في أخبار الكتاب أهم بكثير من اسم قائله أو حياة ناقلة، فالنص أولا، ثم الناقل، ثم القائل، في مخالفة للعرف السائد في كتابة الأخبار والتراجم، حتى عند الأصفهاني نفسه.

إن من يقرأ أخبار الكتاب يدرك بدءا أنه لا يقرأ أخبارا تتضمن الأشعار، كما هي الحال في معظم كتب الأخبار، بل يقرأ أخبارا تعد أوعية للتعريف بأوعية أخرى حاملة للأشعار. فالخبر لا يسرد لذاته بل ليحمل نصا آخر مختلفا في جنسه عن الخبر، الذي تغدو وظيفته الحقيقية تأكيد وجود النص الشعري المرصود على الجدار وغيره.

والكتاب —بهذا الوصف– يكشف براعة مؤلفه في انتخاب الأخبار، وربما في صناعتها، وصناعة الأشعار التي تعضدها، وليس في صناعة شعر الشواهد عيب، عند القدماء، فيما يبدو، إذ لم يعده أحدهم من الوضع، فتلك طبيعة التصنيف عندهم، وفي شواهد النحو المصنوعة وحدها ما يغني عن الاحتجاج لكل ما ورد في (أدب الغرباء) من الأشعار. وربما يصح —بشيء من الزعم– القول إن الأصفهاني كان يعتمد

(١) المرجع نفسه، ص١٠.

(٢) القاضي، مرجع سابق، ص٤٩.

منهج صناعة الأخبار في مؤلفاته. يدلنا على ذلك ما لاحظه فؤاد سيزكين على كتاب (الأغاني) الذي ينقل فيه الأصفهاني مادة كبيرة من الأخبار عن الزبير بن بكار، معظمها ما كان ليعرف لولا إشارة الأصفهاني إليه في مروياته الكثيرة عن الرجل، التي كانت ترد بإسناد واحد: "أخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار قال"(١)، وغير ذلك من الأسانيد التي تحيل إلى مؤلفات الزبير بن بكار(٢). ومع أن سيزكين لم يرد من ذلك تكذيب مرويات الأصفهاني إلا أن إضراب الأصفهاني عن وضع ترجمة للزبير بن بكار في كتابه (الأغاني) فيمن ترجم لهم ممن عرفوا بالزبير، مثل (الزبير بن الأشيم، والزبير بن دحمان، والزبير بن عبد الله الزبير، وابن الزبير الأسدي(٣))، قد يصدّق هذا الظن، فالرجل يصنع كثيرا من المرويات وينسبها.

لكن ذلك لا يشغل الدراسة كثيرا، إذ إنها تحاول فقط اكتشاف وظائف تلك الأشعار في سرود الأخبار، في كتابه (أدب الغرباء)؛ صحيحة كانت أو مصنوعة، انطلاقا من فرضية تذهب إلى أن للأشعار في كتب الأخبار وظائف متعددة يمكن تصنيفها وتحديدها بدقة. والتصنيف "مفهوم استخدمه فلاديمير بروب في دراسته للحكايات الروسية للدلالة على تحديد الوحدات الشكلية المتشابهة في الأثر الأدبي على ضوء وظائفها، وتكرارها، وتوزيعها، بقصد الوصول إلى عناصرها الثابتة، والقواعد

(١) وحرمي بن أبي العلاء أحد الرجال الذين نقلوا عن الزبير بن بكار. انظر: شمس الدين؛ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط/١١، ١٩٩٦)، ج١٢، ص٣١١-٣١٢.

(٢) انظر: فؤاد سيزكين، **تاريخ التراث العربي**، تعريب فهمي أبو الفضل، محمود فهمي حجازي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/١، ١٩٧٧) ، ج١، ص٦١٢.

(٣) ترجم للأول في الجزء ١٤، ص١٦٤، وللثاني في الجزء ١٨، ص٢١٨، وترجم للثالث في الجزء ١٤، ص١٦٥، وللأخير في الجزء ١٧، ص٩٧. أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، (بيروت: دار صادر، ط/١، ٢٠٠٢). والزبير بن بكار من نسل عبد الله بن الزبير بن العوام، الذي ترجم له الأصفهاني.

العامة التي تحكمها"[1].

والتصنيف -بحسب بروب- لا يُملى على القصة بل ينبع منها، ويبدأ بمعاينة تمهيدية لها، وهو خلاف ما يقوم به الباحثون الذين "يبدأون بالتصنيف فيقحمونه من الخارج على الجُسمان، في حين كان عليهم أن يستنتجوه منه استنتاجا"[2]. وتأسيسا على هذا المفهوم للتصنيف يمكن إدراج الأخبار التي يكون الشعر مادة أولية في صناعتها، في تصنيف جديد، وربما غير مألوف، هو ما تقترح الدراسة تسميته بـ(أدب أخبار الأشعار أو تراجم النصوص). وهنا فقط لن يُنظر إلى الشعر داخل الخبر على أساس مضمونه، وهو المتبع من قبل الدارسين بشكل مستهلك، حيث المضامين مطروحة في الطريق، تتشاكل فيها المرويات على اختلاف مسمياتها (أخبار، مسامرات، مجالس، سير،...إلخ)، بل سينظر إلى الشعر داخل الخبر على أنه عنصر بنائي ضمن مجموعة من العناصر التي يقوم عليها بناء الخبر.

وظائف الشعر في كتاب (أدب الغرباء):

الحديث عن وظيفة الشعر قديم قدم الشعر نفسه، فمن نظم الشعر وأذاعه بين الناس إنما نظمه لوظيفة تتعلق بالواقع والحياة، ومن نقله بالرواية والحفظ إنما نقله لوظيفة تتعلق بالعلم والمعرفة، ومن كتبه وحفظه في بطون الكتب إنما كتبه لوظيفة تتعلق بالإنشاء والتأليف، وغيرها من ضرورات الثقافة الإنسانية.

ولا علاقة للوظائف هنا بذلك كله، كما أنه لا علاقة لها بالمضامين المستخلصة من الأشعار، وهو موضوع تعاوره الدارسون للشعر كثيرا، فوقفوا على كثير من مضامين الأشعار، مما يقع في أدب الغرباء وغير أدب الغرباء. وإنما يشير مصطلح الوظيفة هنا إلى استخدام جديد لمفهوم الوظيفة في كتابات فلاديمير بروب، لا من

(١) سمير سعيد حجازي، **معجم مصطلحات الأنثروبولوجيا والفلسفة وعلوم اللسان والمذاهب النقدية والأدبية**، (القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧) ، ص٤٠.

(٢) فلاديمير بروب، **مورفولوجيا القصة**، ترجمة: عبد الكريم حسن؛ سمير بن عمّو، (دمشق: شراع للدراسات والنشر والتوزيع، ط/١، ١٩٩٦) ، ص٢١.

ناحية تعريفه للوظيفة من حيث ارتباطها بالشخصيات في الحكاية العجيبة، بل من حيث أن الشعر في الأخبار إنما يرد لتأدية وظائف محددة، يمكن الوقوف عليها بدقة، وتصنيف الأشعار الواردة في الأخبار على هدى منها.

وفق هذا التصور يمكن الإفادة من فلاديمير بروب في اعتقاده بأننا يمكن أن نعيد دراسة الأشكال المختلفة للقص، ونضع القوانين التي تحكم البنية، في سبيل الكشف عن البنية المنطقية الخاصة جدا بهذا النوع من القص(١). وإذا كان بروب يخص القصص العجيب في دراسته، فإن منطلقاته النظرية تصلح للتطبيق على أنواع القص المختلفة، بما فيها هذا النوع من الأخبار في أدب الغرباء، الذي تتولد فيه الأخبار من الأشعار، وتتفق فيه الأشعار على استخدام مواد جديدة، وكأنما اتفق الغرباء على أن تكون مسودات لأشعارهم، في كتاب هو الوحيد الذي اتبع تلك المنهجية فيما وصلنا من التراث الإخباري العربي.

والتصنيفات التي قد نخرج بها من أشعار الكتاب –بعيدا عن الوظيفة– كثيرة لا يمكن حصرها، إذ يمكن تصنيف الأشعار حسب المضامين، وهو أمر شائع في دراسة الشعر عامة، لنخرج من الكتاب بعدد من المضامين، منها:

١– ما يكون في الحنين إلى الأوطان والوقوف على آثار المنازل.

٢– ما يكون في البكاء على الخلان وتذكر أيام الوصال.

٣– ما يكون في التأسي وتقوية النفس بالأمل.

٤– ما يكون في الشكوى من الزمن.

٥– ما يكون في وصف الغربة.

٦– ما يكون في الحديث عن الضيافة.

كما يمكن تصنيف الأشعار بحسب مواد الكتابة، لتكون على هذا النحو:

– ما يكتب على شوامخ القصور.

٢– ما يكتب على شواخص القبور.

(١) بروب، مرجع سابق، ص١٥–١٦، بتصرف.

٣- ما يكتب على جدران البيوت والمساجد والكنائس.

٤- ما يكتب على الرقع والخرق.

٥- ما يكتب على جدران البيوت ونزل الإقامة.

٦- ما يكتب على الصخور والحجارة.

ويمكن اعتماد تصنيف ثالث، بحسب حال الرواة، لتكون الرواية على هاتين الصورتين:

١- ما يروى عن معروف.

٢- ما يروى عن مجهول.

كما يمكن -أيضا- النظر في أحوال الشعراء بين معروفين ومجهولين، وغير ذلك من التصنيفات التي تكون يسيرة متاحة. أما التصنيف حسب الوظيفة التي يؤديها الشعر، والتي يمكن أن تشترك فيها مجموعة من أشعار الكتاب، فأمر يحتاج إلى التروي وإعادة النظر. والوظيفة هنا مبدأ تجتمع عليه النصوص الأشد اختلافا في مضامينها، إذ لا اعتبار للمضامين في ذاتها، إنما التعويل -كل التعويل- على غايات الغريب الذي كتب الأشعار وتركها ليقرأها الآخرون، وعلى غايات الراوي الذي نقلها بهذا القدر من التحري (تحري الاتفاق في الحالات لا في المضامين ولا في المواد والأدوات)، لتكون مادة متداولة قابلة لإعادة القراءة في أزمنة لاحقة.

والحق أن الوقوف عند الوظائف ليس أمرا سهلا، لأن أحدا من قبل لم يدرس وظائف الشعر في الأخبار خاصة، لا من القدماء ولا من المحدثين، فقد انصب جلّ عناية القدماء على توضيح محاسن الشعر، والفرق بين جيده ورديئه، وبين الشاعر المجيد وغير المجيد، وعلى أخطاء الشعراء في المعاني وسرقاتهم لها، وغير ذلك مما يتعلق بطبيعة الشعر. كما تحدثوا عن الفرق بين الشعر والنثر، باعتبارهما جنسين مختلفين. أما موضوع وظائف الشعر في النثر، فلم يكن حاضرا إلا على نطاق محدود؛ في مثل حديث البلاغيين عن الوظيفة الجمالية للتضمين.

وكذلك انصبت عناية المحدثين على البحث في سردية الشعر، خاصة بعد ظهور أنواع جديدة من الشعر هي أقرب إلى السرد، من مثل قصيدة النثر، ما دفعهم إلى العودة

لاكتشاف ملامح السرد في الشعر العربي؛ قديمه وحديثه. ولم يبادر أحد إلى طرح أسئلة من قبيل: لماذا يحضر الشعر في سرود الأخبار القديمة، وما وظيفته؟ ومن فعل ذلك فقد نظر إلى الموضوع من زاوية محدودة هي اهتمام العرب بالشعر، ومكانته عندهم.

تلك الدراسات على كثرتها وأهميتها لا تغني عن ظهور اتجاهات جديدة لدراسة الأشكال المختلفة من السرود التراثية التي تناقلها العرب أزمنة طويلة، وما زالت تدرس ضمن ثنائية (السند والمتن). تلك الثنائية المجتلبة من عالم الحديث النبوي، رغم التمايز الكبير بين العالمين. فالحديث النبوي ليس عملا تخييليا وإن كان فيه شيء من التصوير، ولا عملا إبداعيا مهما بلغ من البيان، ومن ثم لا يمكن تصنيفه ضمن الأدب، ولا حتى الإسلامي منه. وفكرة السند في ذاتها تذهب بالحديث إلى زاوية هي النقيض تماما من الأدب، ولذا فإن حرص الإخباريين على السند أقل من حرص علماء الحديث. هذا مع ملاحظة بعض الباحثين لحرص أبي الفرج الأصفهاني خاصة على سند أخباره[1]، وهي ملاحظة مثيرة في ذاتها، إذ بم يمكن أن يفسر هذا الحرص على السند في مؤلف ضخم بحجم الأغاني، مثلا؟

وحتى ما يتعلق بالمتن، فالمتن في الحديث يختلف عن المتن في الخبر، من حيث البنية والشكل، فإذا كان متن الخبر يتضمن السرد ويرد مطعما بالشعر كثيرا، فإن الحديث النبوي يعتمد الأقوال المباشرة كثيرا، كما يأتي خلوا من الشعر، فالحديث لا يضمن الشعر ولا يقتبس منه، بل العكس. وإذا كان من طبيعة الحديث أن يوظف لغايات توجيهية، فإن التوجيه المباشر ليس من غايات الخبر.

لقد أدى الخلط بين الخبر والحديث إلى فقدان الأول طبيعته المميزة، ما انتهى ببعض الدارسين إلى إخراجه من باب الأدب عامة، فالأخبار ليست من الأدب، بل هي تحوم حوله ولا تندرج فيه[2]. كما عده بعضهم جنسا مستقلا إلى جانب الحديث

(١) القاضي، مرجع سابق، ص١٧٣.

(٢) تصدى محمد القاضي للرد على هذا الرأي. انظر التفاصيل في: **الخبر في الأدب العربي**، ص١٠٩، وما بعدها.

والشعر[١]. ومن ذهب إلى تلك الوجهات كان قد تجاهل الطبيعة السردية للخبر، خاصة القصصي منه. تلك الطبيعة هي ما يقرب الخبر من أنواع القص الأخرى كالحكاية والرواية والقصة[٢]، ويبعده كثيرا عن التاريخ بمعناه الحرفي، وعن الحديث النبوي أيضا.

من هنا تأتي أهمية البحث عن تصنيفات جديدة للأخبار، تنبع من طبيعتها، ولا تُملى عليها. ومن هذه الوجهة يأتي التصنيف الوظائفي الذي تتبناه الدراسة هنا، وهو تصنيف يمكن أن يُنطلق فيه من زوايا متعددة، حسب الوظائف التي تؤديها الأشكال المختلفة للأخبار، والوظائف التي تؤديها الأشكال الأخرى من الخطابات المضمنة داخل تلك الأخبار، من أمثال وحكم وأشعار وتراجم، فيكون عدد الوظائف المصنفة بحسب نسبة توظيف تلك الخطابات في الأخبار.

وبالعودة إلى كتاب (أدب الغرباء)، فإنه يمكن الخروج بعدد محدد من الوظائف للأشعار، نظرا لقلة عدد أخبار الأشعار في الكتاب، ولأنها تدور في حدود موضوع واحد، وهو أمر يمكن تجاوزه عند دراسة سرود إخبارية أطول. وعامة فإن الأشعار في الكتاب تؤدي أربع وظائف، سيجري ترتيبها حسب دورها في السرد، لا حسب نسب حضورها في الكتاب، ثم يكون الحديث عن تأثير كل وظيفة على السرد في موضعه.

١- الوظيفة التشاركية:

وتتحقق هذه الوظيفة حين "يؤثر الشعر المكتوب على موضع ما في قارئ يمرّ به، فيتفاعل القارئ معه، ويُنتج عن تفاعله هذا شعرا يحمل توجيها لصاحب الشعر المكتوب، ردّا عليه، أو يحمل موافقة له، وإعجابا به، أو يحمل إجابة عن سؤال جاء في الشعر المكتوب"[٣]. وفيها ينمو السرد ويتطور بتطور الحدث، من سرد خبر الكتابة إلى التفاعل مع المكتوب والمشاركة بالرد والجواب. وتمثل تلك الوظيفة، ما نسبته (٥٣%) من النصوص الشعرية التي تركها الغرباء، وهي نسبة مهمة تكشف

(١) يقطين، مرجع سابق، ص٢١٨.

(٢) القاضي، مرجع سابق، ص١١٥.

(٣) كريري، مرجع سابق، ص٥٥.

عن حاجتهم إلى التعاطف والمؤانسة.

ويلحظ على شعراء هذه الأشعار أن معظمهم مجهولون لا تحدد هوياتهم، ولا يعرف عنهم إلا هذا الخط الذي في الجدار ونحوه. أما الأخبار التي تورد الأشعار المؤدية لتلك الوظيفة، وأخبار من تفاعلوا مع الأشعار، فطويلة نسبيا، بحكم السردية التي تتطلبها الرواية، من حكاية الفعل وردة الفعل. ففي هذه الوظيفة يؤدي النص الشعري، مهمة تحفيز القراء على المشاركة والتفاعل، فالشاعر يكتب نصه على الجدار ليقرأه الآخرون. وربما عاد –فيما بعد– لينظر ما كتبوا تعليقا عليه، أو ربما عاد أحد هؤلاء القراء لينظر ما بقي من الخبر مكتوبا وما طمس بفعل الزمن.

والشعر المتولد عن المشاركة؛ منه ما يكون على وزن أبيات الغريب وقافيتها وموضوعها، ومنه ما لا يكون كذلك. فمن النوع الأول ما ورد في الحادثة رقم/ ٦[1]، وفيها أن عبد الله بن جعفر خرج يوما متنزها، ثم قال تحت شجرة، فلما همّ بالانصراف كتب على الشجرة:

خبّرينا خصصتِ يا سرْحُ بالغيـ ـثِ، بصدقٍ، والصدقُ فيه شفاءُ

هل يموتُ المحبُّ من ألم الحبِّ وهل ينفعُ المحبَّ اللقاءُ؟

ثم ركب متنزها، فرجع فقال تحتها، وإذا أسفل كتابته مكتوب:

إنّ جهلا سؤالكَ السّرحَ عمّا ليس يوما عليكَ فيه خفاءُ

ليس للعاشقِ المحبّ من العيشِ سوى منظرِ الحبيبِ دواءُ

ولا شك في أن عودة الرجل إلى المكان –الذي كتب فيه أبياته مستخبرا– كانت لغاية الوقوف على ردود من مرّوا بالشجرة وقرأوا ما كتب عليها. والخبر منقول من كتاب، بحسب أبي الفرج، وهو لا يحدد فيه ما إذا كان عبد الله بن جعفر قد ترك على الشجرة ما يدل على هويته من اسم أو إشارة أو نحوها، ليكون ما كتبه على الشجرة بمنزلة الرسالة المقصودة، أم أنه تخفى كما يتخفى الغرباء، وكتب كما يكتبون.

(١) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٢٨.

أما النوع الثاني فيجيب العابرُ فيه الشاعرَ بأبيات على غير وزنه وقافيته، ومنها في الحادثة رقم/٩[١]، أبيات وقف عليها وعلى جوابها أبو الفرج الأصفهاني، الذي وجدها مكتوبة في فناء المسجد الجامع بمتوث، وهي مدينة بين سوق الأهواز وقرقوب. والأبيات لرجل اسمه المؤمل بن جعفر البندنيجي يقول فيها:

يا من على الدنيا يُجاذب وعلى زخارفها يُغاضبْ

لا تطلبنّ وصالها ليستْ لصاحبها بصاحبْ

بينا تراها عنده إذ فارقته ولم تراقبْ

إنّي خبرتُ حديثها يا صاحِ من طول التجاربْ

يقول أبو الفرج "وإذا تحته مكتوب بخطّ غير ذلك الخط".

صدقتَ، صدقتَ، وعندي الخبر سأحذرُ منها ركوبَ الخطرْ

وأحملُ نفسي على حالةٍ فإمّا انتفاع وإمّا ضررْ

وأكثر الشعر الذي يؤدي هذه الوظيفة يتضمن أسلوبا من أساليب الطلب (خبّرينا، هل يموت؟ هل ينفع؟ لا تطلبنّ، يا صاح)، مما يحفز العابرين المتعاطفين على المشاركة. والمشاركة قد تكون موافقة لمضمون الشعر الذي تركه الغريب، كما في النماذج السابقة، وقد تكون زجرا وتوبيخا له. من هذا الأخير ما ورد في الحادثة رقم/٨[٢]، وفيها أبيات تركها رجل من أهل الشام على منارة الأسكندرية، يقول فيها:

شرّدتني نوائبُ الأيام ورمتني بصائباتِ السهامِ

فرّقتْ بين من أحبُّ وبيني ويحَ قلبي المتيمِ المستهامِ

لهف نفسي على زمان تقضّى فكأنّي رأيتُه في المنامِ

(١) المرجع نفسه، ص٣٢.

(٢) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٣١.

فكان الجواب الذي كُتب تحتها:

أيّها المدّعي على الأيام أن رمته بصائباتِ السهامِ

خفْ من الله واعتزلْ كلَّ زُوْرٍ وتجنبْ مواقفَ الآثامِ

تجدِ الله عندَ كلِّ مخوفٍ كاشفا للهمومِ والآلامِ

فلهُ الحمدُ والخلائقُ طرّا وهو ربُّ الدهورِ والأعوامِ

كما قد يكون الجواب سخرية من المكتوب على الجدار، حين يكون فيه ما يدعو للسخرية. ومن ذلك في الحادثة رقم/٢٥[١]، وفيها أن أبا فلان المدني كان مبخلا، وكان يقرأ على مخلاة حماره [قل هو الله أحد]، سبع مرات ويعلقها على الحمار، وقت القضيم. وما لبث أن نفق حماره فدفنه في قبّة وكتب على حائطها:

ألا يا حمارًا كانَ للحُمرِ سابقًا فأصبحَ مصروعًا على السيبِ في قبرِ

جُزيتَ مع القتِّ الشعيرَ مُغربلا وأسكنكَ الرحمنُ في جنّة الحُمرِ

"ثم وجد بعد ذلك على حائط القبة هذين البيتين":

الحمدُ لله لا شريكَ له ماذا أرى من عجائبِ الزّمنِ

إن كانَ هذا الحمارُ في كفنٍ وقُبّةٍ، إنني بلا كفنِ

وتتفاوت مشاركات العابرين بتفاوت مواهبهم، واختلاف ظروفهم عند تلقي المكتوب، إذ قد يرد الجواب شعرا، كما في النماذج السابقة، وقد يأتي في رسالة نثرية، أو يكون جوابا من كلام الناس. ومن نموذج الجواب الذي يكون نثرا، الحادثة رقم/٤٣[٢]، وفيها أبيات كتبها رجل اسمه علي بن محمد بن عبد الله بن داوود الطبرسي، على باب قصر خراب، جاء فيها:

(١) المرجع نفسه، ص٤٦.

(٢) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٦٠.

يا منْ ألحّ عليه الهمُّ والفِكرُ وغيّرتْ حالَهُ الأيامُ والغِيرُ

أما سمعتَ بما قد قيلَ في مثلٍ عند الإياسِ فأين اللهُ والقدرُ

نمْ للخطوبِ إذا أحداثها طرقتْ واصبرْ فقد فازَ أقوامٌ لها صبروا

وكلّ ضيقٍ سيأتي بعده سِعةٌ وكلُّ فوْتٍ وشيكٍ بعده ظفرُ

ومع أن النص شعري إلا أن الجواب يرد نثرا، ومع ما في النص من دعوة للصبر وتفاؤل بالسعة والظفر، إلا أن الجواب يأتي في غاية التشاؤم واليأس، فقد ورد الجواب من مجهول، جاء فيه "لو كل من صبر أُعقب الظفر صبرتُ، ولكن نجد الصبر في العاجل يُفني العمر، وما كان أولى لذي العقل موته وهو طفل، والسلام".

ومن نماذج ما يكون جوابه بجملة أو جملتين من عامة كلام الناس، ما ورد في الحادثة رقم/٦٨[1]، وفيها أبيات لفلان بن فلان السّلوي، يرجو فيها لقاء الأحبة والأخلاء الذين تركهم خلفه بالبصرة، بعد أن أقام بها زمنا ثم رحل عنها مكرها، يقول:

اعززْ عليّ بفرقةٍ ورحيلِ عن قربِ محبوبٍ ودار خليلِ

والله يعلمُ أنّني مُتحرّقٌ لفِراقِكم ذو صبوةٍ وغليلِ

أترى الزّمان يسرني بلقائكم بعد التفرقِ والنوى بقليلِ

وإذا تحته مكتوب: بغير ذلك الخط: "نعم، إن شاء الله".

ويدخل في هذه الوظيفة أيضا ذلك الشعر الذي يكتبه بعض المعروفين من خلفاء وأمراء، وهنا تكون الكتابة تأسيا بسنة الغرباء ومشاركة لهم في الكتابة. والمكتوب في هذه الحالة قد يكون من منقول الخليفة، كما قد يكون من إنشائه، كل حسب ملكته، لأن الغاية هي فقط المشاركة في فعل الكتابة لا وصف شعور حقيقي

(١) المرجع نفسه، ص٨٩.

بالغربة. ومن ذلك في الحادثة رقم/٢[١]، أبيات للبيد بن ربيعة –رضي الله عنه– كتبها أبو جعفر المنصور على حائط قصر عبدويه. أما ما يكون من إنشاء الخليفة فمنه في الحادثة رقم/١[٢]، ما كتبه المأمون على كنيسة في الشام كان قد مر بها، وأراد أن يكتب على جدارها؛ تبركا بدعاء ذوي الغربة، فكتب:

يا معشرَ الغرباءِ ردّكم ولقيتمُ الأخبارَ عن قربِ

قلبي عليكم مشفقٌ وجِلٌ فشفا الإله بحفظكم قلبي

إنّي كتبتُ لكي أساعدكم فإذا قرأتُم فاعرفوا كَتبي

ومن هذا النوع التشاركي أبيات يكتبها الشعراء ثم يوصون بكتابتها على قبورهم، فيكون من واجب السامعين تنفيذ الوصية سواء كان القائل شاعرا مشهورا، أو كان مجهولا من عامة الناس. فمما يكون الموصِي فيه شخصا معروفا ما ورد في الحادثة رقم/٣٦[٣]، من أن أبا نواس لما حضرته الوفاة قال: اكتبوا هذه الأبيات على قبري:

وَعَظتكَ أجداثٌ صُمُتْ ونعتْكَ أزمنةٌ خفتْ

فتكلمتْ عن أوجُهٍ تَبْلى وعن صُورٍ سُبُتْ

وأرتْكَ قبرَكَ في القبو ر، وأنت حيّ لم تمتْ

أما ما يكون الموصي فيه مجهولا فمنه، الحادثة رقم/٢١[٤]، وفيها أن شابا غريبا من أهل العراق كان قد نزل ببلدة من بلاد الروم زمنا، فمرض مرض الموت، وكان قد كتب على حائط البيت الذي يسكنه أبياتا، وأمر من يمرضه

(١) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٢٣. والأبيات هي التي مطلعها: المرءُ يأملُ أن يعيشَ وطولُ عيشٍ قدْ يضرّه.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٦.

(٤) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٤٣.

بكتابتها على قبره. والأبيات هي:

تعسفتُ طولَ السيرِ في طلبِ الغنى فأدركني ريبُ المنونِ كما تَرى

فيا ليتَ شعري عن أخلاي هل بكوا لفقدي أم ما منهمُ من به درى

ومع أنه يلاحظ على الأشعار التي تؤدي هذه الوظيفة –في الشواهد السابقة– أنها ترد في أغراض متعددة، لا رابط بينها (العشق، والغربة، والشكوى من الزمن، والوعظ، والرثاء، وغيرها)، إلا أنه قد تبين للباحثة أثناء الإحصاء أن معظم النماذج كانت في الغزل وطلب المواساة على فقد المحبوب، وكذلك في المجون والغزل بالغلمان وطلب المنادمة في الشراب، ومعظم تلك الأغراض تشاركي بطبيعته. ونماذج ذلك كثيرة، يطيل أبو الفرج في سردها إطالة تفوق ما يرد في غيرها، وهو أمر ملفت للنظر، والملفت أكثر أن من أخبار الغلمان خاصة ما يتعلق بأبي الفرج نفسه[1]، وهو ما يخالف غاية من غايات أدب الجدران هي التستر والتخفي عند أصحاب الجنسانية المنحرفة[2].

وتكاد النصوص التي تؤدي هذه الوظيفة التشاركية تتفق في تضمنها أساليب طلبية تحفز المشاركة وتدعو إليها. ورواية الخبر –أيضا– تنص على حصول فعل المشاركة بجمل من قبيل (وإذا تحته مكتوب بخطّ غير ذلك الخط، وإذا أسفل كتابته مكتوب، ثم وجد بعد ذلك على حائط القبة هذين البيتين، وإذا تحته مكتوب: بغير ذلك الخط).

(١) أورد في الغلمان ٣ نصوص، أحدها يروي خبرا عنه (الحادثة رقم/ ٦٤) ، وفيها سرد لقصته مع (صديق له) من أولاد التجار كان له معه في زمن الشبيبة والصبا سير ومعاتبات ومكاتبات لو جمعت لكانت في كتاب مفرد. وكانا يلتقيان في حجرة نظيفة في دار الفتى فيشربان ويلهوان. وأن الفتى أبطأ عليه مرة، فكتب الأصفهاني أبياتا على جدار الحجرة، أغضبت صاحبه لما عاد ووجدها؛ لخوفه أن يقف أبوه عليها فيعلم سره الذي يكتمه فيمنعه من لقاء صاحبه أبي الفرج، وهذا ما حصل بالفعل. في خبر طويل. انظر: أدب الغرباء، ص ٨٣-٨٦

(٢) غماري، مرجع سابق، ص١١٨.

وحين نعتقد أن الكتاب مختص بأخبار الغرباء –وهذا غير الصواب– فإن المشاركة تكون مطلبا رئيسا لأي غريب يتقوى في غربته بتكثير الإخوان والألاف، فتكون الكتابة والرد وسيلة للتعارف والتواصل. لكن الكتاب يحوي أخبار غرباء، وغير غرباء، وهنا تتأكد الطبيعة الاجتماعية للإنسان، التي تدفعه إلى طلب المشاركة، وإلى التفاعل الفني مع مُنتَج الآخرين، على نحو ما ورد عن كتابات أصحاب الشأن كالمأمون وأبي جعفر المنصور وغيرهم، مما هو من قبيل المشاركة الإنسانية المحضة.

٢– الوظيفة الإشهارية:

الإشهار أحد أهداف الكتابة على الجدران عامة، وإن اختلفت طرقه ووسائطه من عصر إلى آخر(١). وتمثل هذه الوظيفة ما نسبته ١٦% من أشعار الكتاب. وترتبط بموقف يكون كاتب الأبيات قد تعرض له من أحد الأشخاص، فأراد أن يشهره، إن كان صاحب معروف أو قديم مودة، أو يشهّر به إن كان قد أصابه منه ما يكره. ومصطلح (الإشهار) هنا يأتي بمعناه الحديث الذي يرتبط بالإعلان، لكنه لا يقصد الجانب التجاري منه، وإن كان هذا الجانب الأخير بالذات قد حضر في نصوص من أدب الجدران، عند الوشاء مثلا(٢).

والإشهار في أدب الغرباء من نوع الإشهار الثقافي، الذي يأتي لإشهار بعض المنتجات الثقافية ولتمرير بعض الرسائل السياسية التي يمكن أن تخضع للرقابة بسبب محتواها الاحتجاجي(٣). والأصفهاني في مروياته حريص على إشهار أخلاق الناس من ثناء ومذمة، باختلاف أحوال الغرباء وما يلقونه في البلاد التي يقصدونها. وإشهار المحامد في الكتاب أقل من التشهير بالمذمة. فمن إشهار المحامد، ما ورد في الحادثة رقم/٢٣(٤)، عن حمزة بن القاسم الشاعر، قال: قرأت على بعض قصور آل المهلب:

(١) أقرب أنموذج لذلك في عصرنا الحاضر تلك اللوحات الإعلانية المعلقة في الشوارع وعلى الجدران للتعريف بالخدمات أو المنتجات.

(٢) انظر: كريري، مرجع سابق، ص٦١.

(٣) غماري، مرجع سابق، ص١٠٢–١٠٣.

(٤) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٤٤.

نزلتُ على آل المهلبِ شاتيا غريبا عن الأوطانِ في زمن المحْلِ

فما زال بي إكرامُهم وافتقارهم وبرهُمُ حتى حسبتهُمُ أهلي[1]

وبعيدا عن صدق ما جاء في الأبيات المكتوبة على قصور آل المهلب، وفي مديحهم، دون تعيين القائل، إلا أن الغاية منها إشهار هذا الثناء في الناس، وإثباته على ما هو أبقى وأبعد عن الاندثار، وهو جدار القصر.

ومن الإشهار ما يأتي لإعلان أدب الخلفاء وشعرهم، ومن ذلك في الحادثة رقم/٢٧[2] ما ورد عن عجوز من جواري الواثق، في خبر ذكرت فيه أبياتا له، رواها المعتضد بالله، قال أنشدنيها الموفق، قال أنشدني الواثق لنفسه، واللحن للواثق أيضا. والأبيات هي قوله:

انعمْ بحسنِ البديع والكامل ما دامَ ريبَ الزَّمانِ كالغافلْ

كأنّني ناظرٌ إلى زمني ما هو بعدَ مِيتتي فاعلْ

يا سُرَّ من را سقتك غاديةٌ من الغوادي غزيرةُ الوابلْ

أما التشهير، وهو الأكثر حضورا، فمنه ما يكون مباشرا، وخاصا، يعيّن فيه القائل والمقول فيه. ومنه ما ورد في الحادثة رقم/٢٢[3]، وفيها أن أبا العتاهية كان قد وقف في باب عمرو بن مسعدة فحجب عن الدخول، فكتب أبياتا، منها:

(١) ورد هذان البيتان في شرح المرزوقي لحماسة أبي تمام، لمجهول أيضا. إلا أن المرزوقي ذكر في الحاشية أنهما وردا -في شرح الحماسة برواية الجواليقي- للأخنس الطائي، ووردا عند الجاحظ في البيان والتبيين لبكير بن الأخنس، وهو من شعراء العصر الأموي. انظر: أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، **شرح ديوان الحماسة لأبي تمام**، علق عليه وجمع حواشيه: غريد الشيخ، ووضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط/١، ٢٠٠٢)، ج/١، ص٢٢١.

(٢) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٤٧.

(٣) المرجع نفسه، ص٤٤.

ما لكَ قد حللتَ عن وفائكَ واستبدلتَ يا عمرو شيمةً كَدِرهْ

إنّي إذا البابُ تاه حاجبُه لم يك عندي في هجرهِ نظرهْ

لستم ترجّون للوفاءِ ولا يومَ تكون السماءُ منفطره

أو يعينّ المقول فيه ولا يعرف القائل، ومنه ما ورد في الحادثة رقم/٢٤[١]، من أن يحيي بن خالد البرمكي وجد على فناء من أفنية قصر الرشيد، وكان قد ركب يريد الرشيد:

انعموا آل برمكٍ وانظروا منتهى هيهْ

وارقبوا الدهرَ أنْ يدورُ عليكم بداهيهْ

ومن التشهير ما يكون مباشرا، عاما، يعرف قائله، ويكون المقصود به عاما، ومنه في الحادثة رقم/١٥[٢]، ما ورد عن أبي الفرج نفسه، حين نزل البصرة، وكان غريبا لا يعرف أحدا، فدله رجل على خان اكترى فيه حجرة أقام فيها أياما، لا يجد من يستضيفه أو يقريه، فلما همّ بالمغادرة كتب على جدار تلك الحجرة في الخان أبياتا، يصف حاله ويهجو أهل البصرة، منها:

الحمدُ لله على ما أرى من ضيعتي ما بينَ هذا الورى

أصارني الدّهرُ إلى حالةٍ يعدمُ فيها الضيفُ حقَّ القِرى

بُدّلتُ بعد الغنى حاجةً إلى كلابٍ يلبسون الفِرا

ومن التشهير ما يكون غير مباشر، ومعظم نماذجه في وعظ الخلفاء وتذكيرهم، ويكتب على أبنية قصورهم، ومنه في الحادثة رقم/٢٦[٣]، ما وجد مكتوبا على حائط

(١) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٤٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٤٧.

بناء من أبنية المتوكل في سر من رأى، وفيه:

أُنفقتِ الأموالُ واستنفدتْ وشُيّدَ البنيانُ للدّهرِ

فحينَ تمّ الأمرُ في ملكِهم صاحَ بهم حادٍ إلى القبرِ

فصيّرَ الدارَ خلاءً ولم يمهلْ أخا عزٍّ ولا قهرِ

والأبيات، رغم أنها عامة، وفي الوعظ، إلا أن موقعها على بناء من أبنية الخليفة تجعلها موجهة له، بوجه من الوجوه. والشاعر يلجأ إلى الجدار خوفا وحذرا، مما لا يستطيع التصريح به مباشرة، خشية أن يؤاخذ به، فيكتب رأيه على جدار ونحوه[1]، ولا يترك –في هذه الحالة– ما يدل على هويته.

وعامة فإنه يلاحظ على الأشعار التي تؤدي هذه الوظيفة أن أحد طرفي الرسالة (كاتب الأبيات أو المكتوب فيه أو له) يكون معروفا، لأن الغاية إشهاره أو التشهير به، وتلك غايات تحتاج إلى تحديد، حسب مقصد الرسالة، ومكانة من توجه إليه. كما أن معظم النماذج كانت في الخلفاء ورجال الدولة خاصة. وفي النماذج تتفوق أساليب الخبر في الحضور على الإنشاء، وتكون غايات الإنشاء التذكير والتوبيخ والزجر، في معظم النماذج.

٣– الوظيفة الإخبارية:

وتمثل ما نسبته ٢٨% من الأشعار، وغايتها تسجيل الأحداث وتأريخها. لذا فإن سرد الخبر يتوقف عندما يرد الشعر، لأن الغاية هي تأكيد وجود النص ونقل خبره. والمخاطب المقصود بتلك الوظيفة يكون عاما وغير محدد، وأبياتها أقصر من أبيات الوظيفتين السابقتين، إذ قد ترد كثيرا في بيت أو بيتين، ومعظم شعرائها مجهولون. من ذلك ما ورد في الحوادث رقم/١٠، ١١، ١٢[2]، على التوالي:

أبيات في رقعة وقعت في يد أبي الفرج وهو في جامع الرصافة، يقول كاتبها:

(١) انظر: كريري، مرجع سابق، ص٦٣.

(٢) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٣٣.

رحمَ الله من دعا لغَريبٍ مُدْنفٍ قدْ جَفَاه كلُّ حَبيب

ورماهُ الزمانُ من كلّ قُطرٍ فهو لاشكَ ميّتٌ عن قريب

وأبيات قرأها شيخ على مقبرة سيبويه، يقول كاتبها:

رحلَ الأحبّةُ بعدَ طُولِ توجّعٍ ونأى المزارُ فأسلموكَ وأوجعوا

تركوكَ أوحشَ ما يكونُ بقفرةٍ لم يؤنسوكَ، وكربةً لم يدفعوا

وأبيات قرأها أبو الفرج على حائط مسجد الجامع بدسكرة الملك، يقول كاتبها:

سقى الله أيامَ التواصلِ غيثَه وردّ إلى الأوطانِ كلَّ غريبِ

فلا خيرَ في دنيا بغيرِ تَواصلٍ ولا خيرَ في عيشٍ بغير حبيبِ

ومنها –أيضا– ما ورد في الحوادث رقم/٤٨، ٤٩، ٥٠[1]، على التوالي:

" قرأت في مسجد قد سُدّ بابه وانهدمت مواجبه:

أفنى جميعهُم وبدّدَ شمْلهم مَلِكٌ تفرّدَ بالبقاء عزيزُ"

"وقرأت على حائط بستان بنواحي الرّقة:

كيفَ يصفو سرورُ من ليسَ يدري أيَّ وقتٍ يفجأهُ ريبُ المِنونِ"

"ويقال إنه قُرئ على باب خرابة:

أرى كلَّ مغرورٍ يُحدّثُ نفسَه إذا ما مضى عامٌ سلامةَ قابلِ"

ومنها في الحادثة رقم٦[2]، أبيات قرأها الرشيد على حجر بحلوان، يقول كاتبها:

حتى متى أنا في حلّ وترحالِ وطولِ سعي وإدبارٍ وإقبالِ

ونازح الدارِ لا أنفك مغتربًا عن الأحبةِ لا يدرون ما حالي

(١) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٦٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٠.

بمغربِ الأرضِ طورًا ثم مشرِقها لا يخطر الموتُ من حرصي على بالي

ولو قنعتُ أتاني الرزقُ في دَعَةٍ إنّ القُنوعَ الغنى، لا كثرة المالِ

وفي الحادثة رقم/٥٩[١]، أبيات كتبها رجل غير معروف اسمه علي بن محمد بن أحمد بن حسن بن علي، بعد أن سار إلى هذا الموضع حافيا حتى انتعل الدم، يقول فيها:

عسى مشربٌ يصفو فيروي ضماءةً أطالَ صدَاهَا المشربُ المتكدرُ

عسى بالجلودِ العارياتِ ستكتسي وبالمستذَلّ المستضَامَ سيُنْصَرُ

عسى جابر العظمِ الكسيرِ بلطفه سيرتاحُ للعَظمِ الكسير فيجبرُ

عسى الله، لا تيأسْ من الله إنّه يهونُ عليه ما يجلّ ويكبُرُ

ويلاحظ عامة على الأشعار التي تؤدي تلك الوظيفة أن معظمها يأتي في الشوق للأوطان والخلان، وطلب الدعاء للغرباء، ووعظ الناس. وأكثر أساليب الطلب فيها الدعاء والتمني والرجاء، والاستفهام الذي يخرج لغاية الاستبطاء.

٤- الوظيفة التعجيبية:

ليس التعجيب هنا بمعنى الإتيان بالعجائب الخارقة تماما[٢]، أو البعد عن الواقع كلية، إنما أن يكون مضمون الأبيات وموضعها مما يعجب منه المتلقي، أو أن ترتبط بأحداث خارقة، يمهد لها السرد. والسرد في هذا النوع يسير في خط مواز للشعر، لحاجة التعجيب إلى ذلك.

والوظيفة التعجيبية هي أقل الوظائف حضورا في الكتاب، إذ تمثل ما نسبته

(١) المرجع نفسه، ص٧٧.

(٢) يستخدم مصطلح العجائبي للدلالة على "شكل من أشكال القص، تعترض فيه الشخصيات بقوانين جديدة، تعارض قوانين الواقع التجريبي". سعد علوش، **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط/١، ١٩٨٥)، ص١٤٦.

٣% من الأشعار. ولا عجب في ذلك، حين نضع في الاعتبار طبيعة جامع تلك الأشعار وناقل أخبارها، وربما –بشيء من الظن– صانعها أيضا؛ فالأصفهاني رجل واقعي، يرتكز جلّ منتجه المعروف على جمع الأخبار الواقعية، ومن ثم فإن التعجيب ليس من طبيعة ما ينقله أو ما يكتبه. لكنه دائما ينقل مرويته في صبغة تجعلها أقرب إلى الواقعية منها إلى التخييل والإيهام، وتلك سنة في الأخبار عامة بما فيها الأخبار العجيبة في التراث العربي. هذا ما لاحظه كمال أبو ديب في دراسته للعجائبي والغرائبي، حيث يستخدم الرواة قديما لعبة التوثيق التاريخية التي ارتبطت بالمقدس في الثقافة الإسلامية (الحديث النبوي)، بالاعتماد على آلية السلسلة الرواتية (السند): حدثنا فلان عن فلان، "فلقد ابتكرت هذه الطريقة الرصينة الصارمة من أجل إضفاء الموثوقية والرصانة والحقيقية على المسرود التاريخي"(١)، وهي الطريقة ذاتها التي يعتمدها الأصفهاني في أخباره عامة، ومنها أدب الغرباء.

والأشعار التي تمثلت هذه الوظيفة في الكتاب معظمها في الوعظ، لكن العجيب هنا أن المقصود بالوعظ لا يفهم لغة النص ولا يعي فحواه، لأنه مكتوب بلغة غير لغته، وهنا مكمن الغرابة. من ذلك ما ورد في الحادثة رقم/١٨(٢)، وهي منقولة عن شيخ مجهول من ذوي الهيئات يحدّث بكل غريبة وعجيبة، خرج في أحد الأسفار، فطرحه البحر في جزيرة، فيها قوم على صورة الناس إلا أنهم يتكلمون بكلام لا يُفهم، ويأكلون من المأكل ما لم تجر به عادة الناس، وأنه دخل مدينة في تلك الجزيرة، فوجد على بابها، هذه الأبيات:

من شدّةٍ لا يموتُ الفتى ولكنْ لميقاته يهلكُ

فسبحان مالكَ من في السما والأرضِ حقّا ولا يُملكُ

وقال في نهاية الخبر "فاجتهدت بالمسألة عن الرجل وحاله، فلم يُفهم عنّي، ولا

(١) كمال أبو ديب، **الأدب الغرائبي والعالم العجائبي في كتاب العظمة وفن السرد العربي**، (بيروت: دار الساقي، ط/١، ٢٠٠٧) ، ص٨.

(٢) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٤١.

فهمتُ عن أحد منهم".

ومثله ما ورد في الحادثة رقم/٣٤[١]، من أن هارون الرشيد أنفذ إسحاق بن عمار إلى ملك الروم في السنة التي نزل فيها الرّقة، فوجد في صدر مجلسه هذه الأبيات مكتوبة بالذهب:

ما اختلفَ الليلُ والنهارُ ولا دارتْ نجومُ السّماءِ في الفلكْ

إلا لنقلِ النعيمِ من مَلكٍ قدْ زالَ ملْكُهُ إلى مَلكْ

ومُلكُ ذي العرش دائمٌ أبدا ليسَ بفانٍ ولا بمُشتركْ

والعجيب في الأبيات الأولى أنها مكتوبة على باب المدينة خاصة، أي تلقاء الداخل والخارج منها، رغم أنها لا تمثل رسالة القوم، الذين لا يفهمون من مضمونها حرفا، فكيف بقيت على باب مدينتهم ولم تمح، حتى يجيء البحر بغرباء تكون على لغتهم فيقرأونها وينقلون خبرها. أما الأبيات التي كتبت في صدر مجلس ملك الروم (بالذهب)، فأمرها أعجب، ليس لأنها تظهر الاحتفاء بالعربية في بلاط الروم، وهو أمر له أهمية فيما يتعلق بعلاقاتهم مع العرب، لكن لأن الأبيات في الوعظ والتذكير بحال الدنيا وتقلب أحوال الحكام، وأن الملك لا يدوم. وهي معان من صميم الفكر الإسلامي، ما يجعل اختيار ملك الروم لها مثيرا. وهذا قد يعني أن الأبيات قد تكون مختلقة، أراد بها رسول الخليفة إلى ملك الروم أن ينقل رسالة الأمة إلى هارون الرشيد بطريقة غير مباشرة، فكان خبر الأبيات المكتوبة على جدار ملك الروم خير واعظ للخليفة المسلم.

ومما هو أبعد من ذلك في التعجب ما ورد في الحادثة رقم/٥٢[٢]، في خبر طويل، يحكي قصة رجل من أهل المطالب ممن يسكنون الفسطاط، ومعه جماعة من أهل مصر كانوا يرحلون في طلب الكنوز، حتى انتهى بهم الطلب إلى بلاد اليونان،

(١) المرجع نفسه، ص٥٤.

(٢) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٦٩-٧١.

فوجدوا على جدار أحد الحصون فيها هذه الأبيات لرجل غريب، يقول:

فيا ليتَ شَعْري مَتى يَنْقضي عَنائِي وتُكشفُ عنّي المحنْ

شريدًا طريدًا قليلَ العزا ءِ، سحيقَ المحلِّ بعيدَ الوطنْ

وأنهم طافوا بالحصن يبحثون عن الباب الذي خفي عليهم من نسج الريح عليه والقتام، فلما اهتدوا إليه، بعد أحداث فيها عجائب من صنع الجن، إذا مكتوب على أحد مصراعيه:

قد بَنَيْنَا وسوفَ نفْنى ويَبقى ما بَنَيْنَا منْ بَعْدِنا أزمَانا

ليسَ يبقى على الزّمانِ سوى الله الذي لا نَراه، وهوَ يرانا

يقول "فعجبنا من الشعر أيضا".

ولا يتوقف حضور الشعر في الخبر على هذين النصين، بل تنتهي القصة بنص ثالث وجد مكتوبا على قفل من الذهب وزنه خمس مئة ألف مثقال، وفيه طلسم يقول:

تعبٌ يطولُ لطامعٍ في نيلِ ما أمسيتَ جامعَه، فقلْ لا تطمعِ

واسترزقِ الله العليّ مكانه ودعِ التّطلبَ للمَطَالبِ واقنعِ

ثم تنتهي القصة بالرجل وقد اقتنع بهذه الموعظة فأقسم إلا يخرج في طلب الكنوز بعدها.

والنصوص هنا مكتوبة في مواضع من حصن في بلاد اليونان، بغير لغة اليونان، ليقرأها هؤلاء العرب ويروون خبرها. وعلى ما في مواضع النصوص من غرابة، وما في روايتها من عجب، فإن الرسالة التي أدتها قد تحققت أخيرا، فتوقف الرجل عن الأسفار استجابة لموعظة غريب وجدها مكتوبة على الجدار.

هذا ما يتعلق بوظائف الأشعار في الكتاب، أما دورها في السرد فيختلف من وظيفة إلى أخرى، إذ تسهم الأشعار التشاركية، ومن بعدها التعجيبية –في هذا

الكتاب- في حركة السرد، الأولى لغاية تأكيد التفاعل بين القائلين والمتفاعلين مع القول، والثانية لأن التعجيب غرض يتطلب كثيرا من التفصيلات السردية.

ومن ثم فإن ما لاحظه بعض الباحثين في أدب الأخبار، من أن القدماء كانوا يجعلون "المقام السردي مطية لإيراد القول. وهذه ظاهرة تكشف لنا عن سر من أسرار الخبر الأدبي يتمثل في انقطاع السردية فيه بحلول القول المقصود"[(١)]، إنما ينطبق على ذاك النوع من الأخبار التي تكون غاية الأشعار فيها إخبارية فقط، وهو ما يصح أن يقال إنه مقصود المبرد في مقولته التي سبق ذكرها[(٢)]. ومن ثم فإن إعادة النظر في وظائف الأشعار المضمنة داخل سرود الأخبار، يمكن أن يسعف في التمييز بين أنواع مختلفة من السرد يعزز وجودُ الشعر تنوعَها وتباينها.

فبالعودة إلى الأشعار ذات الوظيفة التشاركية، يمكن ملاحظة أن السرد لا ينقطع ولا يتوقف، بل يسير مع الشعر ليبرر وجود النص ووجود التفاعل اللاحق معه، في حين يتوقف السرد تماما بعد ذكر الأبيات التي وظيفتها الإخبار والتأريخ للحادثة فقط.

(١) القاضي، مرجع سابق، ص٣٥٦.

(٢) انظر: هذه الدراسة، ص٣.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة وظائف الشعر في سرد أخبار الغرباء في كتاب أبي الفرج الأصفهاني المعنون بـ(أدب الغرباء)، معتمدة المنهج التحليلي للنصوص، ومفيدة من مقولات الشكلانية وجهود روادها، من أمثال فلاديمير بروب، فيما يتعلق بالتصنيف الوظائفي، الذي يمكن الإفادة منه في تطبيقات مختلفة على النصوص التراثية العربية، ومنها سرود الأخبار المختلفة التي يزخر بها التراث العربي.

وقد تبين للدراسة أن أدب الأخبار في الثقافة العربية مازال بحاجة إلى دراسات معمقة تعتمد النظر في بنيته، وتصنيفه على أساس من التمايز بين البنى. وهذا أمر يمكن اختباره وتجريبه في سرود أخبار أخرى، وربما حتى في كتب التراجم والسير، التي يحتفل رواتها وكتّابها بالشعر احتفالا كبيرا، لا يمكن ردّه دائما وأبدا إلى مكانة الشعر عند العرب، دون النظر في طرائق توظيفهم لهذا الشعر في كل مدونة على حدة.

وقد خرجت الدراسة بنتيجتين، هما:

١- أن للشعر في سرود الكتاب وظائف متعددة، هي –حسب نسب حضورها في الكتاب– على التوالي: الوظيفة التشاركية، الوظيفة الإخبارية، الوظيفة الإشهارية، الوظيفة التعجيبية.

٢- أن السرد يتأثر بوظائف الأشعار في النصوص، فينمو ويتطور ليسير في خط مواز للنص الشعري، في الوظائف التي تتطلب ذلك، وهي على التوالي: الوظيفة التشاركية، ثم الوظيفة التعجيبية، ثم الوظيفة الإشهارية. وأنه يتوقف عند إيراد الشعر الذي يؤدي الوظيفة الإخبارية فقط.

والدراسة لا تزعم الكشف عن مجمل الوظائف التي يمكن أن يؤديها الشعر في أدب الأخبار، لكنها –على الأقل– تؤسس لقراءة جديدة تأخذ في الاعتبار

حضور الشعر في السرود الإخبارية العربية، وتبحث عن وظائفه، التي ربما تكون محدودة في الكتاب مادة الدراسة لمحدودية الأخبار فيه، لكنها ربما تكون أكثر من ذلك في السرود الإخبارية الضخمة. وهو ما يدفع إلى قراءة التراث الإخباري العربي، من منطلق حضور الشعر فيه، بوصفه عنصرا من عناصر النص، لا مادة مضمنة فيه، ومستقلة عنه، أو مقصودة في ذاتها، ومعطلة للسرد.

تم بحمد الله

المصادر والمراجع

الكتب:

الأصبهاني، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق. (١٩٩٠)، تاريخ أصبهان: ذكر أخبار أصبهان، ط/١، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ج/١.

الأصفهاني، علي بن الحسين. (١٩٧٢)، أدب الغرباء، ط/١، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت.

الأصفهاني، علي بن الحسين. (٢٠٠٢)، الأغاني، ط/١، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت.

بروب، فلاديمير. (١٩٩٦)، **مورفولوجيا القصة**، ط/١، ترجمة: عبد الكريم حسن؛ سمير بن عمّو، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق.

البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت. (٢٠٠١)، **تاريخ بغداد: تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها**، ط/١، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج١٣.

ابن تغري بردي، يوسف. (١٩٦٣)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ج٤.

جبار، سعيد. (٢٠٠٤)، **الخبر في السرد العربي: الثوابت والمتغيرات**، ط/١، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء.

حجازي، سمير سعيد. (٢٠٠٧)، **معجم مصطلحات الأنثروبولوجيا والفلسفة وعلوم اللسان والمذاهب النقدية والأدبية**، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة.

حمداوي، جميل. (٢٠٢٠)، **النظرية الشكلانية في الأدب والفن**، ط/١، دار الريف للطبع والنشر، تطوان.

الحموي، ياقوت. (١٩٩٣)، **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عباس، ط/١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج١.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر. (١٩٠٠)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ط/ن، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج/٣.

أبو ديب، كمال. (٢٠٠٧)، الأدب **الغرائبي والعالم العجائبي في كتاب العظمة وفن السرد العربي**، ط/١، دار الساقي، بيروت.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. (١٩٩٦)، **سير أعلام النبلاء**، ط/١١، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١٢.

سيزكين، فؤاد. (١٩٧٧)، تاريخ التراث العربي، ط/١، تعريب فهمي أبو الفضل، محمود فهمي حجازي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج١.

علوش، سعد. (١٩٨٥)، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط/١، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

القاضي، محمد. (١٩٩٨)، الخبر في الأدب العربي: دراسة في السردية العربية، ط/١، منشورات كلية الآداب بمنوبة، ودار الغرب الإسلامي، بيروت.

كريري، علي حافظ. (٢٠١٣)، **أدب الجدران: قراءة في النقش الشعري وفضاءاته البصرية**، ط/١، إصدارات النادي الأدبي الثقافي، نجران.

المبرد، محمد بن يزيد. (١٩٩٧)، **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/١، المكتبة العصرية، بيروت، ج٣.

المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن. (٢٠٠٢)، **شرح ديوان الحماسة لأبي تمام**، علق عليه وجمع حواشيه: غريد الشيخ، ووضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ج/١.

النديم، محمد بن إسحاق. (١٩٩٦)، **كتاب الفهرست في أخبار العلماء والمصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم**، ط/١، شرح وتعليق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت.

الوشاء، محمد بن إسحاق بن يحيي. (١٩٥٣)، **الموشى: الظرف والظرفاء**، ط/٢، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي ومطبعة الاعتماد، القاهرة، ج٢.

يقطين، سعيد. (١٩٩٧)، **الكلام والخبر: مقدمة للسرد العربي**، ط/١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

الأبحاث:

عون، مؤمنة حمزة عبدالرحمن، **نحيب الذات في أدب الغرباء للأصفهاني**. مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر بمركز إيتاي البارود بمصر، المجلد٣٠، العدد٢، (٢٠١٧م)، ص ص٥٠٦-٥٩٤.

غماري، طيبي، **الغرافيتي من أدب الغرباء إلى الاغتراب**. مجلة عالم الفكر، المجلد ٤٣ (يناير–مارس٢٠١٥م)، ص ص٩٩-١٤٠.

الشلوي، سهية مقبل؛ أحمد، هدى سعد الدين. **فن الإبيجراما العربية القديمة: النشأة والبناء**، المجلة الأكاديمية العالمية للغة العربية آدابها، المجلد٢، العدد٢ (جون٢٠٢٠م)، ص ص ١-٥٦.

Bibliography

Books:

al-Asfahani, Ahmad Ibn Abdullah Ibn Ishaq. (1990), **Tārīkh Asbahan: Dhikr Akhbar Asbahan**. 1st Edition, Investigated by: Sayyid Kasrawi Hasan, Dār al-Kutub al-´Ilmiyyah, Beirut. Vol.1.

al-Asfahani, Ali ibn al-Husayn. (1972), **Adab al-Ghurabā**, Investigated by: Salah al-Din al-Munajid, 1st Edition, Dar al-Kitab al-Jadid, Beirut.

al-Asfahani, ʿAli ibn al-Husayn. (2002), **Al-Aghānī**, Investigated by: Ihsan Abbas et el., 1st Edition, Dār Sadir, Beirut.

Propp, Vladimir. (1996), **Story morphology**, Trans. ʿAbd al-Karim Hasan and Samir bin ʿAmuh, 1st Edition, Shiraʿ li al-Nashar, Damascus.

al-Baghdadi, Ahmad Ibn ʿAli. (2001), **Tarīkh Baghdad**, 1st Edition, Investigated by: Bashār Maʿrouf, Dār al-Gharb al-Islami, Beirut, Vol.3.

Ibn Tighri Bardi, Yousuf, (1963), **al-Nujoum al-Zāhirah fi Mulouk Misr wa al-Qahirah,** Wazarat al-Thqafah wa al-Irshad al-Qawmi, Cairo, Vol. 4.

Jabbar, Saʿīd. (2004), **al-Khabar fi al-Sarrd al-ʿArabi: al-Thawabit Wa al-Mutghayirāt**, 1st Edition, Sarlkat al-Nashar wa al-Tawziʿ, al-Dār al-Bayzā.

Hijazi, Samir Saʿīd. (2007), **A glossary of terms for anthropology, philosophy, linguistics, and critical and literary doctrines**, (in Arabic) Dār al-Talā'iʿ, Cairo.

Hamdāwi, Jamil. (2020), **Al-Nazariyyah al-Shaklāniyyah fi al-Adab wa al-fann**, Dār al-Reef, Tetouan

al-Hamawi, Yaqout. (1993), **Muʿjam al-Udabā**, 1st Edition, Investigated by Ihsan ʿAbbas, Dār al-Gharab al-Islami, Beirut, Vol,1.

Ibn Khillikan, Ahmad Ibn Muhammad. (1900), **Wafiyāt al-A´yan,** Investigated by Ihsan Abbas, Dār Sadir, Beirut, Vol.13.

Abu Deeb, Kamal. (2007), **Al-Adab al-Gharāʾibi wa al-ʿĀlam al-ʿAjāʾibi fi Kitāb al-ʿAẓamah wa Fann al-Sard al-ʿArabi**, Dār al-Saqi, Beirut.

al-Dhahabi, Muhammad ibn Ahmad. (1996), **Siyar Aʿlām al-Nubalā**, Investigated by: Shuʾayb al-Arnʿut, 11th Edition, Muʾasat al-Risalah, Beirut. Vol.

Sezgin, Fuat. (1977), **Tarīkh al-Turāth al-ʿArabi,** Trans. Fami Abu al-Fadl and Mahmoud Fahmi Ḥijazi, 1st Edition, al-Haiʾah al-ʿĀmah li al-Kitab, Cairo, Vol.1.

ʿAloush, Saʿīd. (1985), Muʿjam **al-Mustalahāt al-Adabiyyah al-Muʿāsirah**, 1st Edition, Dār al-Kitab al-Lubnani, Beirut.

al-Qādī, Muhammad. (1998), **Al-Khabar fi al-Adab al-ʿArabi: Dirasatun fi al-Binyah al-Sardiyyah al-ʿArabiyyah**, Manshurat Kuliyat al-ʿĀdab in Manubah, Tunis, Dār al-Gharb al-Islami, Beirut.

Kariri, ʿAli Hafiz. (2013), **Adab al-Judrān, Wall literature: a reading of poetic inscription and its visual spaces**, (in Arabic), 1st Edtion, al-Nadi al-Adabi al-Thaqafi, Najran.

Al-Mubarid, Muhammad ibn Yazid. (1997), **Al-Kāmil fi al Lughah wa al-Adab**, Investigated by: Muhammad Abu al-Fadhal Ibrahim. 1st Edition, al-Maktabah al-ʿAsriyyah, Beirut, Vol.3.

Almrrzwqy, Aḥmad ibn Muḥammad ibn al-Ḥasan**, Sharḥ Dīwān al-Ḥamāsah li-Abī Tammām"**, commented and compiled its footnotes: Gharīd al-Shaykh, footnotes by: Ibrāhīm Shams al-Dīn, (Beirut, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah 1st edition, 2002), vol. 1.

al-Nadim, Muhammad ibn Ishaq. (1996), **Kitāb al-Fihrist fi Akhbār al-ʿUlamā wa al-Musanifīn mina al-Qudamā wa al-Muhdathīn wa Asmā Kutubihim**, Expl. by Yousuf ʿAli Taweel, 1st Edition, Dār al-Kutub al-ʾIlmiyyah, Beirut.

al-Washā, Muhammad ibn Ishāq. (1953), **Al-Muwasha**, Investigated by Kamal Mustafa, 2ed Edition, Maktabat al-Khanji wa Matbʿat al-Iʾtimad, Cairo, Vol.2.

Yaqtin, Saʿīd. (1997**), Al-Kalām wa al-Khabar: Muqadimah li al-Sard al-ʿArabi**, 1st Editionʿ, al-Markz al-Thaqafi al-ʿArabi, aL-Dār al-Bayzā.

Periodicals:

ʿAwn, Muʾminah Hamzah**, "Nahīb al-Dhāt fi Adab al-Ghurabā li al-Asfahānī"** Majallat Kuliyat al-lughah al-ʾArabiyyah, bi Iytai al-Barud, al-Azhar university Markz Iytai al-Barud, Egypt: Vol.30. No.2, (2017).

Ghimari, Tayyibi**. " Graffiti from the literature of strangers to alienation"** (in Arabic), Majallat ʿAlam al-Fikr, Vol.43, (Jan-mar, 2015).

al-Shalawi, Suhayyah muqbil, Ahmad, Huda Saʿd al-Din. **"The Art of the Ancient Arabic Epigram: Origin and Construction" (in Arabic)**, al-Majallah al-ʿAkadimiyyah al-ʿAlamiyyahli al-Lughah al-ʾArabiyyahwa Adabaha, Vol.2, No, 2, (June 2020).

١٣٨١
١٩٦١

Journal of

Arabic Language and Literature

Vol : 5 | Part : 2 | May - Aug 2022